

تنبيه ذوي الأفهام

إلى رأب الصَّدْعِ، والوِئَام على مَنْهج السَّلف الكِرام

جمع وإعداد

صالح بن سعد السحيمي

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

طبع على نفقة بعض المحسنين في دولة قطر غفر الله لهم ولوالديهم

تنبيه ذَوي الأفهام

إلى رأْبِ الصَّدْع ، والوِئَام
على مَنهج السَّلَف الكِرام

جمع وإعداد

صالح بن سعد السحيمي

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحمَّد ، تَركَنا على البيضاء ، وقال : « إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لنْ تضلُّوا بَعدي : كتابُ اللهِ وسُنَّتي »

وذلك بلزوم منهج الأمَّة المُحمَّدية ؛ الذي عليه السَّلَف الصَّالح مِنَ الصَّحابة والتَّابعين ، وتَرْك ما خالفَ هذا المنهج مِنَ الآراء والأفكار والحِزبيَّات والجماعات المُختلفة .

ولا يتحقَّق ذلك إلَّا بمعرفة منهجهم الذي كانوا يسيرونَ عليه ، ثمَّ التَّمسُّك به عن عِلْم ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ الآية [التوبة : ١٠٠]

وقد اطَّلعتُ على رسالة للشَّيخ الدكتور صالح بن سعد السُّحيمي تتضمَّنُ : الحثَّ على معرفة هذا المنهج ، والتَّمسُّك به ، وترك النِّزاعات والتَّفرُّق عنه ؛ فجزاهُ اللهُ خيرًا ، ونفعَ بما كَتب وبَيَّن ، وذلك بعنوان : (تنبيهُ ذَوي الأفهام إلى رأْبِ الصَّدْع ، والوئام على منهج السَّلَف الكِرام) وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد ، وعلى آله وصحبه .

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٣٦/٧/١٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد تركنا على البيضاء وقال: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي)

وذلك بلزوم منهج الأمة المحمدية الذي عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين. وترك ما خالف هذا المنهج من الآراء والأفكار والحزبيات والجماعات المخالفة. ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة منهجهم الذي كانوا يسيرون عليه ثم التمسك به عن علم. كما قال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية.

وقد اطلعت على رسالة للشيخ الدكتور: صالح بن سعد السحيمي تتضمن الحث على معرفة هذا المنهج والتمسك به وترك النزاعات والتفرق عنه. فجزاه الله خيرا ونفع بما كتب وبين. وذلك [illegible] ذوي الأفهام إلى رأب الصدع بالوئام على منهج السلف الكرام [illegible]
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
في ١٤/٧/١٤٢٦هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله وحدَه ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد ، وعلى آله وصحبه ، وبعدُ :

فقد ألَّف شيخُنا الفاضل العلَّامة الشَّيخ عبد المُحسن بن حمد العبَّاد البدر كتابًا للتَّأليفِ بين السَّلفيِّين ، وبيانِ موقف العُلماء ممَّن صَدَرَ منه خطأ من أهل العلم ؛ سمَّاهُ :

﴿ رِفقًا أهلَ السُّنة بأهل السُّنة ﴾ نصحَ فيه إخوانَه وأبنائَه بالتآلف واجتماع الكلمة ، وعدم التسرُّع في إصدار الأحكام على إخوانهم .

وبعد عِدَّة سَنوات نشر كلمة بعنوان : ومرة أُخرى : " رِفقًا أهلَ السُّنة بأهل السُّنة "

كما نشر أخونا الشيخ الدَّاعية المعروف بدر بن علي بن طامي العتيبي كلمة موفَّقة بعنوان : ﴿ ارحموا السَّلفية فإنَّ منكم مُنفِّرين ﴾

وأنا أقول أيضًا : رفقًا أهلَ السُّنة بأهل السُّنة .

وأقول مرة أخرى ارحموا السَّلفية ، في كلمة مُختصرة أرجو أن ينفعَ اللهُ بها جامعها وقارئها وطلاب العلم وسائر المُسلمين .

وبين يَدَي هذه الكلمة أُذكِّر نفسي وإخواني أهلَ السُّنة عامَّة وطُلاب العِلْم السَّلفيين خاصَّة بهذه النُّصوص :

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة : ٨]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾ [الأنعام : ١٥٢]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ – ٧١]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٢]

وقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٦ – ١٨]

وقال : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم ١٠-١٢]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١]

وقال رسولُ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقل خيرًا أو ليَصمُت »[1]

وقال صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « مَن يَضمن لي ما بين لَحيَيه وما بين رِجلَيه : أضمنْ له الجنة »[2]

وقال صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمة من سَخَط اللهِ ، لا يُلقِي لها بالا ، يَهوي بها في جهنَّم »[3]

وفي رواية : « يكتبُ اللهُ له بها سَخَطه إلى يوم يلقاه »[4]

وقال صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : « كُفَّ عليكَ هذا » وأشار إلى لسانه .

قال : يا نبيَّ الله ! وإنَّا لمؤاخذونَ بما نتكلم به ؟ قال : « ثكلتكَ أُمُّكَ يا معاذ ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم »[5]

وقال صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « كفى بالمرء كَذِبًا أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سَمِع »[6]

وقال صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ « إياكم والظنَّ ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث »[7]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٤) عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا .

٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢٠٧٢) والطبراني في المعجم الكبير (١١٣٤) وابن وهب في الجامع (٢٩٤) عن بلال بن الحارث المزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٨)

٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٠٦٣) وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣) والترمذي في سننه (٢٦١٦) وغيرهم عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦)

٦) مقدمة صحيح مسلم (١/١٠) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٧) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بئسَ مَطيَّةَ الرَّجلِ : زَعَموا »[1]

وقال ﷺ : « ليس الشَّديدُ بالصُّرَعة إنَّما الشَّديدُ الذي يملكُ نَفْسَهُ عند الغَضَب »[2]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن طلب منه الوصيَّة : « لا تغضب »[3] وكرَّرها مِرارًا .

وقال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (لا تكونوا عُجُلًا مذاييع بُذُرًا)[4]

بعد قراءة هذه النُّصوص المُبارَكة ؛ التي تأمر بحفظ اللِّسان : وكفِّه عن كلِّ ما لا يليقُ ، وإشغاله بالعِلْم النَّافع وبذِكْر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وصَونِه عن السبِّ والشَّتم والغمز واللَّمز والهمز والغِيبة والنَّميمة (وإذا كان هناك مُلاحظات لها وجهٌ ؛ فإنها تُبيَّن بحكمة ورَويَّة [بأسلوب ليسَ فيه سبٌّ ولا شتم ولا فظاظة]

قال الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] وقال تعالى : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥])[5]

أعودُ فأقولُ مرةً أخرى : رِفقًا أهلَ السُّنة بأهلِ السُّنة ، وارحموا السَّلفية .

---

١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٠٧٥) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٣) وأبو داود في سننه (٤٩٧٢) وغيرهم عن عقبة بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٦)

٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٢٧) وأبو داود في الزهد (١٤٦) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٥٤٠) وابن المبارك في الزهد والرقائق (١٤٣٨) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصححه الإمام الألباني عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٥٠)

(عجلا) : صيغة مبالغة ممن يَشيع الأخبار دون روية - (بذرا) : الذين لا يكتمون السِّر .

٥) الفوزان

بيانُ فضل الدَّعوة إلى الله

من المعلوم لدى كلِّ مُسلم : أن الدَّعوة إلى الله عز وجل أشرفُ مقام ، وأعظمُ وظيفة ، وأفضلُ طريق يُقرِّب إلى الله تعالى ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣]

والدَّعوةُ إلى الله : وظيفةُ الأنبياء والمُرسلين ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

والدَّاعي إلى الله : يجبُ أن يكونَ عالمًا بما يقول ، عارفًا بحال المَدعوِّين ، وما ينبغي أن يُقال ، ومتى يُقال ، وأين يُقال ، مُراعيًا في ذلك - أيضًا - الحكمة والمآلات والعواقب والرِّفق والرحمة ... اقتداءً برسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حيث وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

وما أعظمَ توجيهُ الله عز وجل لنبيَّيه الكريمَين موسى وهارون عليهما الصَّلاة السَّلام في مُخاطبة ودَعوة أعتى كافر ومُلحد في ذلك الوقت ، وهو فرعون :

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لموسى وهارون عليهما الصَّلاة السَّلام : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه : ٤٣-٤٤]

وتأمَّل قولَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقريش يوم الفتح : « أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ »[1] [يوسف : ٩٢]

ويقول أنسُ بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (خدمتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشْر سِنين ، والله ما قال لي : أفًّا قطُّ ، ولا قال لي لشيء : لم فعلتَ كذا ؟ وهلَّا فعلتَ كذا ؟)[2]

إخواني الدُّعاة وطلاب العلم : اقرأوا هذه النُّصوص ، وتأمَّلوها وتدبَّروها ، واعملوا بها ، وطبِّقوا ما فيها من توجيهات كريمة لطلَّاب العلم .

❁ ❁ ❁

١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٢٧٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٤٥٤) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٠٩) عن ثابت البُناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلفظ .

كمالُ هذا الدِّين

لقد أكرمنا اللهُ تعالى بالإسلام ، وجعله الدِّين الذي لا يَقبل دِينًا سِواه ، وأودعَ فيه من بيان العقيدة والعبادة والأحكام والآداب والأخلاق والمعاملات ما لو تمسَّكنا به لسَعِدنا في الدَّارَين ؛ فقد أكمله الله تبارك وتعالى للأمة قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة : ٣] قالت اليهود لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية : « آيةٌ في كتابكم تقرأونها ، لو علينا معشرَ اليهود نزلتْ ؛ لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا ، قال : أيُّ آية ؟
قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾
قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلتْ فيه على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو قائمٌ بعَرَفة ، يومَ جُمُعة »[1]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المرجعُ عندَ التَّنازع

لقد أكرمَنا اللهُ تعالى بالوَحيَين (الكتاب والسنة) فيجبُ الرجوعُ إليهما عند التَّنازع ، والتَّحاكمُ إليهما عند الاختلاف ؛ فقد أمر الله تبارك وتعالى بأن نرجعَ في كلِّ أمر نختلفُ فيه إلى كتابه وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء ٥٩]

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فإن تنازع العلماء : ردُّوه إلى الله والرسول ؛ فردُّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ ﴾ [النساء : ٨٣])[1]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى : ١٠]

فقد أمرَنا بطاعته وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ طاعة ولاة الأمور في حدود طاعة الله تعالى ، ثم أرشدَنا إلى ردِّ ما تنازعنا فيه إلى الله ورسوله ، أي إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ؛ بل علَّق صِحَّة الإيمان بذلك بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ﴾

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والأمور التي تتنازعُ فيها الأمة – في الأصول والفروع – إذا لم تُردُّ إلى الله والرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتبيَّن فيها الحق ؛ بل يَصير فيها

---

١) تفسير الطبري (٩٨٧٩)

المتنازعونَ على غير بينة من أمرهم ؛ فإنهم إنْ رحمهمُ اللهُ : أقرَّ بعضهم بعضًا ، ولم يَبغِ بعضُهم على بعض ، كما كان الصَّحابةُ في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد ، فيُقرُّ بعضُهم بعضًا ، ولا يَعتدي ، ولا يُعتدى علَيه .

وإن لم يُرحَموا : وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضُهم على بعض ، إمَّا بالقول ، مثلَ تكفيره وتفسيقه ، وإمَّا بالفعل ، مثلَ حَبسه وضربه وقَتله .

والذين امتحنوا النَّاس بخَلْق القرآن ، كانوا مِنْ هؤلاء ، ابتدعوا بدعة ، وكفَّروا مَن خالفهم فيها ، واستحلُّوا منعَ حقِّه وعُقوبته ؛ فالناسُ إذا خَفي عليهم بعضُ ما بعثَ اللهُ به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إمَّا عادلون وإمَّا ظالمون ؛ فالعادلُ فيهم : الذي يعملُ بما وصل إليه من آثار الأنبياء ، ولا يظلمُ غيره ، والظالم : الذي يَعتدي على غيره .

وأكثرهم إنما يَظلمونَ مع علمهم بأنَّهم يظلمون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٩]

وإلَّا فلو سَلَكوا ما عَلِموه من العدل : أقرَّ بعضُهم بعضًا ، كالمقلِّدين لأئمَّة العِلْم ؛ الذين يَعرفون من أنفسهم أنَّهم عاجزون عن معرفة حُكْم الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك المسائل ؛ فجعلوا أئمَّتهم نُوَّابًا عن الرسول وقالوا : هذا غاية ما قَدَرنا عليه .

فالعادلُ منهم : لا يظلم الآخر ، ولا يَعتدي عليه بقول ولا فعل ، مثلَ أن يدَّعيَ أن قول مُقلَّدِهِ هو الصَّحيح بلا حُجة يُبديها ، ويَذمُّ مَن خالفه ، معَ أنه معذور »[1]

---

١) شرح الطحاوية (٥٢٨-٥٢٩) طبعة الأوقاف السعودية

وجوبُ التَّثبت والتريُّث وعدم التَّسرع في إصدار الأحكام على الأشخاص

دَأَبَ بعضُ الناس على التَّسرع في إصدار الأحكام على إخوانهم جُزافا دون تثبُّت ولا رَويَّة ؛ فقد يحكم بالتَّبديع والتَّفسيق والتكفير ووجوب الهجر والإخراج من السلفية والتَّحذير من بعض المشايخ وطلاب العلم السلفيين والإسقاط .. لمرض في نفسه ، أو هوى طغى على تفكيره ، أو لحسدٍ استولى على لُبِّه ، أو بنقل عمَّن توهَّم أنَّهم ثِقَاتٌ عنده ، وهُم أربابُ فِتنة ، وأسبابُ فُرقة .

فليست السَّلفية بالمبالغات والتَّسرعِ في الجرح دون رويَّة ، وتتبُّع الزلَّاتِ ، وإلزامِ الناس بما لا يلزَمُهم ، وبترِ الكلام ، وعدمِ حَمْلِهِ على المحامل الحسنة ، وإسقاطِ البعض بدعوى أخبار الثِّقات ، والتَّعصُّبِ للأشخاص ، وحَصْرِ الحُكْم على الآخرين في أشخاص مُعيَّنين ، والمُبادرةِ بالردِّ على المُخطئ والمُخالف قبل النَّصيحة ، والشُّروعِ في الأحكام من التَّبديع والتَّفسيق والتَّكفير دون تثبُّتٍ ، والظُّنونِ والتَّسرعِ في قَبول الأخبار ونشْرها وإشاعتها معَ عدم التَّفكير في العواقب والمآلات قبل إصدار هذه الأحكام ...

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨]

ووَرَدَ في الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من قال في مُؤمن ما ليس فيه أسكنهُ اللهُ رَدْغة الخبال حتَّى يَخرج ممَّا قال »(١)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ من أربى الرِّبا الاستطالةَ في عِرْضِ المُسلم بغيرِ حقٍّ »(٢)

فاتَّقوا اللهَ يا طُلاب العِلْم ، ولا تكونوا مِعْولَ هَدْمٍ يَنخِرُ في عِظام الدَّعوة ، وينحرف بها عن مَسارها ، ويُفرِّق السَّلفيين إلى شِيَعَ وأحزاب جديدة .

❀ ❀ ❀

١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٣٨٥) وابن ماجه في سننه (٣٣٧٧) والحاكم في المستدرك (٢٢٢٢) وغيرهم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٥)

وردغة الخبال : هي عُصارة أهل النار ، كما جاء تفسيرها مرفوعا في حديث آخر ، انظر سنن ابن ماجه (٣٣٧٧) و صحيح الجامع (٦٣١٣)

٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥١) وأبو داود في سننه (٤٨٧٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٢٨٤) وغيرهم عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٣)

نماذج من الأحكام الجائرة في هذا المنهج الجديد

١) زعَمَ أحدُهم في بعض المواقع أنَّ الشَّيخين الكريمين : الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد المحسن العباد البدر : عالمان جليلان يُستفاد منهما في السنة والحديث والفقه ... ولكن لا يُسألان عن المنهج والرِّجال ؛ بدعوى أن لكلِّ فنٍّ رجاله ؛ فمنَ العلماء من ليس فقيها في معرفة منهج السَّلف وتقييم المناهج الوافدة ، وأن ذلك يختصُّ بفلان وفلان فقط !

وأحسبُ أن المشايخ الذين أشار إليهم أنهم هُم الذين يُسألون عن المنهج وعن الرِّجال لا يَرضَون بهذا الحكْم الجائر في حقِّ بقية المشايخ ، ولا يُوافقونه على هذا الطَّرح .

وهذا يذكِّرني بمقالٍ لأحد زُعماء الحزبيِّين في الدَّاخل قبل نحو عشرين عامًا ، عندما وصفَ عُلماءنا بأنهَّم لا يفقهونَ الواقع ، وأن الأحزاب الدَّعوية المعاصرة هي التي تفقهُ أحوال المسلمين ومُخطَّطات الأعداء ، وأن ذلك حَصْرٌ عليهم !

كما يُذكِّرني بأحدهم قبل نحو عشرين عامًا أو يزيد ، عندما قال : لا نريدُ علماء مُحنَّطين ووصفَ شيخَنا الشيخ مُحمَّد الأمين الشنقيطي بأنه كآلة التَّسجيل التي تَحتفظ بما فيها ، دون أن تُسهم في حلِّ المشاكل !

لهذا أقول : علينا أن نتَّقيَ اللهَ ، ونحترم عُلماءنا ، وأن ننزلهم منازلهم ؛ فإنَّ النَّيل منهم يجرِّئ أعداء الإسلام والأمة على النَّيل من الإسلام .

٢) دأَبَ هؤلاء المُتسرِّعون على التَّحذير من بعض المشايخ وطلاب العِلْم السَّلفيين الأفاضل بقَصْد إسقاطهم وتشويه سُمعتهم عندما تدعوهم جهة أو جمعية أو مُؤسسة إلى القيام بالدُّروس والدَّورات العلمية ، لا سيما في بلاد الغَرب والأقلِّيات الإسلامية في بلاد أوروبا وأمريكا ، وهؤلاء الناس يَحتاجونَ إلى مَن يُبيِّن لهم العقيدة الصَّحيحة وأحكام العبادات ، وبعضُهم لا يعرف التَّوحيد من الشِّرك ، وبعضهم حديثُ عهد بالإسلام ؛ فشغلوهم بهذا التَّصنيف المتعسِّف ، وهذا التَّحذير (اسمعوا لفلان ، ولا تسمعوا لفلان) والمحذَّر منه لا يُشكُّ في سلفيَّته ، أو يقول إنَّ التَّزكيةَ - حَصريًّا - يُؤتَى بها من قِبَلِ أشياخ معدودين ؛ فمَن جاءكم بتزكية منهم : فاقبلوه ، واسمعوا له ، وهيِّئوا له الجوَّ المُناسب لإلقاء الدُّروس وإقامة الدَّورات العلميَّة ، ومَنْ أتى بتزكية مِنْ غيرهم : فاطرحوه وحذِّروا منه وأسقطوه ...

والحقيقةُ أنَّ هذا منهجٌ حزبيٌّ ضيِّق ، نتج عنه : تفرُّقٌ وتحزُّبٌ واختلاف بين أصحاب المنهج الواحد ؛ بل ونتجَ عنه تصدير بعض الأصاغر ، حتى ممَّن هو حديثُ عهد بالإسلام ؛ ليُصبحَ حَكَمًا على المشايخ وطلاب العلم السَّلفيين ؛ بل ونتجَ عنه صدٌّ عن سبيل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، وبقاء أولئكَ الأقليَّات على جهلهم ، وانتشار الفوضى والشِّقاق بينهم ؛ بل إنَّ منهم مَنْ حملوا السِّلاح على بعضهم وهم يعيشون في دول كافرة ، كما نتجَ عن هذا المسلك أن توقَّفتْ كثير من الدُّروس والدَّورات العِلْمية المؤصلَّة ؛ لأنَّ الشَّباب في تلك البلاد شُغلوا ببعضهم ، يُبدِّع بَعضهم بعضًا ، ويُفسِّق بعضهم بعضًا ، ورُبَّما كَفَّر بعضهم بعضًا ! وتركوا العِلْم ، واشتغلوا بالقِيْل والقال ،

وضَعُفت عندهم العبادة والتَّديُّن ، وقد وُجِدَ منهم من لا يُحافظ على صلاة الجماعة ، وقد صُدِّر وأُقنع بتصنيف إخوانه ، وأوهموه بأنَّه العالم العلَّامة الذي لا يُشقُّ له غُبار ، وأصبح شُغله الشَّاغل تصنيف المشايخ وطلاب العِلْم ، والتحذير منهم معَ ما أصابه من مرض العَظَمة والتَّعالم والاستعلاء والغرور والعُجْب ...

وشاهِدُ ذلك : هذا الغُثاء الكثير الذي يكتبونه في المواقع العنكبوتية وبرامج التَّواصل الاجتماعي بأسمائهم الصَّريحة أو ألقاب كبيرة مُستعارة .

ألقابُ مَملكة في غير مَوضعها كالهِرِّ يَحكي انتفاخًا صولة الأسَدِ

فاتَّقوا الله ، ولا تصدُّوا عن سبيل الله ، ولا تفتروا على إخوانكم ، واحملوا أقوالهم على أحسَن المحامل (كما هو منهج السَّلف) وذُبُّوا عن أعراضهم .

فطالب العِلْم السَّلفي هو الذي يجمعُ ولا يُفرِّق ، يجمعُ الناسَ على هَدي الكتاب والسُّنة ؛ وليس المراد مُجرد التَّجميع الذي ينتهجه الحزبيُّون ، لكنه يسعى جاهدًا من أجل جَمْعِ إخوانه على الجادة ، وعلى الصِّراط المستقيم ؛ الذي لا إفراط فيه ولا تفريط .

ويُبشِّر ولا يُنفِّر ، ويَجعلُ مَخافَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ وتقواه دائما نَصْبَ عينيه ، حتَّى لا يكونَ مِنَ المُفلسين بظلمه إخوانه .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما المُفلس ؟ » قالوا : المُفلس فينا من لا درهمَ له ولا متاع ؛ فقال : «إنَّ المُفلس مِن أمَّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأكلَ مال هذا ، وسفكَ دَمَ هذا ، وضربَ هذا ؛ فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ؛ فإن فَنيتْ حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه : أُخِذَ مِن خطاياهم ؛ فطُرحت عليه ، ثمَّ طُرِحَ في النار »[1]

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أهمُّ أسباب الخلاف بين أصحاب المنهج الواحد وطرق علاجه

أولًا : أهم أسباب الخلاف :

إنَّ النَّاظرَ فيما يجري في السَّاحة السَّلفية بين بعض المشايخ وطلاب العلم من تهاجُر وتقاطع وتدابُر ورُدود هزلية (الأمر الذي فَرِحَ به أعداءُ الإسلام ، كما فرح به أعداء السُّنة ، كما فرحت بها الجماعات والأحزاب الكثيرة المُخالفة لمنهج السَّلف ، كما قد يتسبَّب في بُعد الشباب عن طلب العِلْم ، ؛ بل ربَّما انتكاسهم عن الاستقامة) يَخلُصُ إلى أنَّ أكثر تلك الأسباب واهيةٌ ؛ بل قد لا تكون أسبابًا حقيقيَّة ، وإنَّما هي عند التَّحقيق : أسباب وهمية لا تقومُ على أي مُستند شرعيٍّ ؛ بل ربما بُنيت على أمور خيالية ذِهنية مُتخيَّلة لا وجود لها في واقع الأمر ، ولعلِّي أشيرُ إلى بعضٍ منها :

١) ضربُ نصوص الكتاب والسُّنة بعضها ببعض ، أو ضربُ أقوال السَّلف بعضها ببعض ، وعدمُ جَمْعِ الأقوال التي قالها السَّلف في المسألة الواحدة ، وهذا جهلٌ بالمُحكَم والمُتشَابه من القرآن والسُّنة ؛ بل وببعض أقوال السَّلف .

حيث يَعمَدُ أحدهم إلى نقلٍ عن بعض السَّلف في مسألة مُعينة ، ولم يَجمع أقوالَ السَّلف كلِّهم في هذه المسألة (ذَكَرتَ شيئًا وغابتْ عنك أشياءُ) فيَنقل نُقولًا مِنْ هُنا وهناك ، ويطبِّقَها على أخيه ؛ فرُبَّما بَدَّعهُ أو فسَّقهُ أو أخرجهُ منَ السَّلفية ! وهو لم يُحِطْ بمنهج السَّلف في المسألة ، ولم يَذكر أقوالَ من يُخالف فيها مِنْ بقية السَّلف .

وهذا المنهج قد حذَّرنا اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منه كما حذَّرنا منه رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؛ فأهلُ السُّنة والجماعة ينظرونَ إلى مَجموع أقوال السَّلف ومَجموع أعمالهم ؛ لأنَّ اللهَ لم يجعل العِصْمة لواحد منهم بعينه ، ولا لاثنين ... وإنَّما جعلَ العِصْمة لمجموع الأمَّة .

فالنبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول : « خير الناس : قَرني ، ثمَّ الذينَ يَلُونَهم ، ثُمَّ الذين يَلُونَهم »[١]

فجعلَ الخيريَّة المُطلقة في مجموع الأُمَّة ، لا في أفرادها .

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « إنَّ اللهَ قد أجارَ أمَّتي من أن تجتمعَ على ضلالة »[٢]

فقد يأتي بعضُ المُتعالِمين ؛ فيجدُ قولًا ؛ فيحاول أن يَحملَ النَّاسَ عليه ، ويُضلِّلُ مَنْ خالفه ، ولو ضربَ به بقيَّة أقوال السَّلَف !

فإنَّ العِصْمة للأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام ، ولم يجعلِ اللهُ العِصْمة لأحدٍ بعد الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام ؛ فكونُ البعض يذهبُ إلى تقرير قولٍ واحدٍ أو اثنين ، ويتركُ بقيَّة أقوال العلماء : فهذا تركٌ للمُحكمات ، واتِّباعٌ للمُتَشابهات .

فمنْ احتجَّ بقول – في العقيدة أو المنهج أو التَّعامل – مُخالِفٍ لهَدْيِ الكتاب والسُّنة وما أجمعَ عليه سلفُ الأمَّة ، وأصدرَ حُكْما على أحدٍ مِنْ إخوانه بِناءً على هذا القول : فإنَّ قولَه مرفوضٌ ومردودٌ ؛ بل إنَّه مِنْ اتِّباع المُتشابه ، وقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٧]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٢) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣١)

والآية تنسحبُ على كلِّ مُتشابه من النُّصوص أو من أقوال السَّلف ، وقد صحَّ في الحديث أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إذا رأيتُمُ الذينَ يتَّبعونَ ما تشابه منه : فأولئكَ الذينَ سَمَّى اللهُ ؛ فاحذَروهُم »[1]

٢) تتبُّع زلَّات العُلماء بالإفراط أو التَّفريط

الإفراطُ : بالأخذ بتلك الزَّلات وتبنِّيها ، والوقوع في بعض الأقوال ، إمَّا بسبب التَّعصُّب ، أو بسبب قاعدة خالف تُعرف ، أو مِنْ أجل الشُّهرة .. أو نحو ذلك من الأسباب .

والتَّفريطُ : هو النَّيلُ مِنْ ذلك العالم ، وتَنقُّصِه ، والتَّحذير منه بسبب تلك الزَّلة .

وكِلا طَرَفَي الأمور ذَميمٌ .

فالواجبُ على طُلاب العِلْم : أن يسلكوا مسلَكَ السَّلف الصَّالح في هذه المسألة (كما في غيرها) بأن يَحترموا العُلماء ، ويُجلُّوهم ويُوقِّروهم ، ويَحفظوا كرامتهم ، ويُنزلُوهم منازلهم ، وإن صدرتْ منهُم بعضُ الزَّلَّات .

وبالمُقابل : يردُّون الخطأ بالدَّليل الشَّرعي ، دُون مُواربة أو مُداهنة ، معَ التَّلطُّفِ والحكمة والبُعد عن السَّبِّ والشَّتم الذي دَأَبَ عليه البعض .

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) واللفظ له ، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

حيثُ يفرحُ بزلَّة العالم أو طالب العِلْم ؛ ليتشفَّى منه ، أو يُشوِّه سُمعته ، أو يَحطَّ مِنْ قَدْره ؛ فقد يَجتهدُ العَالِمِ في مسألة فيُخطئ فيها ، ورُبَّما جانَبَه الصَّوابُ وخالفَ الدَّليل ؛ فلا يُتَّبَعُ في هذه الزَّلَّة ، ولا يُحذَّر منه مِنْ أجلها .

قال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (الفرقُ بين تجريد مُتابعة المعصوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها : أن تَجريدَ المُتابعة : أن لا تقدِّم على ما جاء به قولَ أحدٍ ولا رأيَهُ كائنًا مَن كان ؛ بل تَنظر في صحَّة الحديث أولًا ؛ فإذا صحَّ لك نظرتَ في معناه ثانيًا ؛ فإذا تبيَّن لك ، لم تعدِلْ عنه ولو خالفك مَنْ بينَ المشرق المغرب ، ومَعاذَ اللهِ أن تتَّفقَ الأمَّةُ على مُخالفة ما جاء به نبيُّها ؛ بل لا بدَّ أن يكونَ في الأمَّة مَنْ قال به ، ولو لم تعلمْهُ فلا تجعل جهلَكَ بالقائل به حُجَّةً على الله ورسولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ؛ بل اذهب إلى النصِّ ولا تَضعُف ، واعلم أنَّه قد قال به قائلٌ قطعًا ولكن لم يصلْ إليك هذا ، مع حفظ مراتب العُلماء وموالاتهم ، واعتقاد حُرْمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدِّين وضبطه ، فهُم دائرونَ بين الأجر والأجرين والمغفرة ، ولكن لا يُوجب هذا إهدارُ النُّصوص ، وتقديم قول الواحد منهم عليها بشُبهةِ أنَّه أعلَمَ بها منك ! فإنْ كان كذلك فمَنْ ذهب إلى النصِّ أعلمُ به منك ؛ فهلَّا وافقتَه إنْ كُنتَ صادقًا ؟ فمَنْ عَرَضَ أقوال العلماء على النُّصوص ، ووزنها بها ، وخالفَ مِنها ما خالفَ النَّصَّ ، لم يُهدر أقوالهم ، ولم يهضم جانبهم ؛ بل اقتدى بهم ؛ فإنَّهم كُلَّهم أَمَروا بذلك ؛ فمتَّبعهم حقًّا مَن امتثلَ ما أوصَوا به ، لا مَن خالفهم ! فخلافُهم في القول الذي جاء النَّصُّ بخلافه أسهلُ مِنْ مُخالَفتهم في القاعدة الكُلِّية التي أَمروا ودَعَوا إليها مِنْ تقديم النَّصِّ على أقوالهم .

ومِنْ هُنا يتبيَّنُ الفرقُ بين تقليد العالم في كلِّ ما قال وبينَ الاستعانَةَ بفَهمه والاستضاءةَ بنور عِلْمه ؛ فالأوَّل يأخُذُ قولَهُ مِنْ غير نظر فيه ، ولا طلبٍ لدليله من الكتاب والسنة ؛ بل يجعلُ ذلك كالحبل الذي يُلقِيه في عُنُقه يُقلِّدُهُ به ، ولذلك سُمِّيَ تقليدًا ؛ بخلاف مَنْ استعانَ بفهمه ، واستضاءَ بنور عِلْمه في الوصول إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإنَّه يجعلهم بمنزلة الدَّليل إلى الدَّليل الأوَّل ؛ فإذا وصلَ إليه استغنى بدِلالته عن الاستدلال بغيره ؛ فمَنْ استدلَّ بالنَّجم على القِبلة فإنَّه إذا شاهدها لم يَبْقَ لاستدلاله بالنَّجم معنى ! قال الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أجمَعَ النَّاسُ على أنَّ مَنْ استبانتْ له سُنَّةُ رسول الله لم يكنْ له أن يَدعَها لقول أحد »[١]

وانظُر - يا رعاك الله - إلى تعامل عُلماء أهلِ السُّنَّة مع النَّووي وابن حجر وابن خُزيمة الذي لقَّبه العلماء بإمام الأئمة وغيرهم ، ممَّن وقعتْ عنده أخطاءٌ وتأويلاتٌ ، حتَّى في العقيدة ؛ لكن له من الجهود في العِلْم وخِدمة السُّنَّة ما نَرجوا أن تنغمرَ فيه هذه الهَنَاتُ والزَّلَّاتُ ؛ التي قد يكون فيها مُجرَّد ناقل .

فما زالَ عُلماؤنا يَستفيدونَ من كُتُبهم ، وينهلونَ من عِلْمهم ، ويَحُثُّونَ طُلاب العِلْم على الإفادة مِنْ تلك الكُتُب ، معَ التَّنبيه على تلك الأخطاء والزَّلَّات ، وبيان الحقِّ فيها بدليله ، والتماس العُذْر للعُلماء ، وعدم تتبُّع هَفَواتهم ، وانظر تعليقات فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أوَّل فتح الباري .

١) الروح (٢٦٤)

ومن ذلك ما نقله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي موسى المديني أنه قال : « سمعتُ قوَّام السُّنة الأصبهاني يقول : أخطأ مُحمَّد بن خُزيمة في حديث الصُّورة ، ولا يُطعنُ عليه بذلك ؛ بل لا يُؤخذ عنه هذا فحسْب .

قال أبو موسى : أشار بذلكَ إلى أنَّه قلَّ مِنْ إمام وإلَّا وله زلَّةٌ ؛ فإذا تُرِكَ ذلك الإمام لأجل زلَّته = تُرك كثيرٌ مِنَ الأئمَّة ! وهذا لا ينبغي أن يُفعَل »[1]

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « إنَّ على هؤلاء الشباب أن يَحملوا ما يَجري بين العلماء من الاختلاف على حُسْن النِّية ، وعلى الاجتهاد ، وأنْ يَعذُروهم فيما أخطأوا فيه ، ولا مانع أن يتكلَّموا معهم فيما يَعتقدون أنه خطأ ؛ ليبِّينوا لهم هل الخطأ منهم ، أو مِنَ الذين قالوا إنَّهم أخطؤوا ؟ لأنَّ الإنسانَ أحيانًا يَتصوَّر أنَّ قولَ العالِمِ خطأٌ ، ثُمَّ بعدَ المُناقشة يتبيَّنُ له صوابَهُ ، والإنسان بشرٌ ، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « كلُّ بني آدم خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائين التَّوابون »[2] أمَّا أن يَفرحَ بزلَّة العالِمِ وخطئه ؛ ليُشيعَها بين النَّاس ؛ فتحصُلُ الفُرقة : فإنَّ هذا ليسَ من طريق السَّلَف »[3]

---

١) بيان تلبيس الجهمية (٤١٠-٤١١)

٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٦١٧) والترمذي في جامعه (٢٤٩٩) وابن ماجه في سننه (٤٢٥١) وغيرهم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥)

٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٢٦/٩١) طبعة : دار الوطن – دار الثريا .

وقال – أيضًا – رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « موقف طالب العلم من وَهَم وخَطَأ العُلماء له جِهَتان :
الأولى : تصحيحُ الخطأ : وهذا أمرٌ واجبٌ ، يجبُ على من عثَرَ على وَهَم إنسان – ولو كان من أكبر العُلماء – أن يُنبِّه على هذا الوَهَم وعلى هذا الخطأ ؛ لأنَّ بيان الحقِّ أمرٌ واجبٌ ، وبالسُّكوت يُمكن أن يضيعَ الحقُّ لاحترام من قال بالباطل ؛ لأن احترام الحقِّ أولى بالمراعاة .

الوجه الثاني : أن يَقصِد بذلك بيان مَعايبه ، لا بيان الحقِّ ، وهذه تقعُ مِنْ إنسان حاسِدٍ والعياذ بالله يتمنَّى أن يجدَ قولًا ضعيفًا أو خطأً لشخص ما ؛ فينشره بين الناس .
... المهمُّ أن يكونَ قصدُكَ منَ البيان : إظهارُ الحقِّ ، ومن كان قصدُهُ الحقَّ = وُفِّقَ لقَبوله ، أمَّا من كان قَصدُهُ أنْ يُظهِرَ عُيوبَ النَّاس ؛ فإنَّ « مَنْ تتبَّع عورة أخيه : تتبَّع اللهُ عورتهُ ، ومن تتبَّع اللهُ عورته : فضحهُ ولو في جوف بيته » فإذا عثرتَ على وَهَم عالمٍ : حاول أن تدفعَ اللَّومَ عنه ، وأنْ تَذُبَّ عنه ، لا سِيَما إذا كان من العُلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونُصح الأمَّة »[1]

وهذا كلامٌ ما عليه من مَزيد ؛ بل هي دُرَرٌ من هذا العالم النِّحرير تُثنَى عليها الخناصِر .
ألَا فليتَّق اللهَ كلُّ مَنْ تُسوِّلُ له نفسُهُ انتهاكَ أعراض العُلماء ، وزرعَ الفِتنة بينَ المشايخ وطُلاب العِلْم ، واستغلال بعض الزَّلَّات والأخطاء أو ما يُتوهَّمُ أنَّه خطأ .

---

١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٢٦/٢١٩-٢٢١) باختصار
والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٧٦٣) والترمذي في سننه (٢٠٣٢) وغيرهما عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٩)

فكُنْ يا طالبَ العِلْم مِفتاحًا للخير ، مِغلاقًا للشَّرِّ ، ولا تكن مِفتاحًا للشَّرِّ مِغلاقًا للخَير والغًا في أعراض العُلماء وطلاب العِلْم ، ومُتجنِّيًا عليهم بالتَّشويه أو المبالغة أو الإلزام بما لا يَلْزم أو البتر ...

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « إنَّ مِنَ النَّاس مفاتيحَ للخَير مَغاليقَ للشَّرِّ ، وإنَّ مِنَ النَّاس مفاتيحَ للشَّرِّ مَغاليقَ للخير ، فطُوبَى لمَنْ جَعَلَ اللهُ مفاتيحَ الخير على يديه ، وويلٌ لمَنْ جعلَ اللهُ مفاتيحَ الشَّرِّ على يديه »[1]

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ في ترجمة كبير المفسِّرين قتادة بن دِعامة السَّدوسي رَحِمَهُٱللَّهُ بعد أن اعتذر له على ما وقعَ فيه وزلَّ : « إنَّ الكبيرَ مِنْ أئمَّة العِلْم إذا كَثُر صوابه ، وعُلِمَ تحرِّيه للحقِّ ، واتَّسعَ عِلْمه ، وظهرَ ذكاؤُهُ ، وعُرِفَ صلاحُهُ وورعه واتِّباعه .. يُغفَر له زلله ، ولا نُضلِّلُهُ ونَطرحه وننسى محاسنه .. نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التَّوبة من ذلك »[2]

وقال –أيضًا – في رفع العِتاب عن الإمام محمد بن نصر المَرْوَزي رَحِمَهُٱللَّهُ : « ولو أنَّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له ، قُمنا عليه ، وبدَّعناه ، وهجرناه .. لما سَلِمَ معنا لا ابن نصر ، ولا ابن مندة ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق إلى الحقِّ ، وهو أرحم الرَّاحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفَظَاظة »[3]

---

١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٣٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٧) وابن المبارك في الزهد (٩٦٨) وحسَّنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١٣٣٢)

٢) السير (٥/٢٧١)

٣) السير (١٤/٤٠)

وقال – أيضًا – رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وكتابه في التَّوحيد مُجلَّد كبير ، وقد تأوَّلَ في ذلك حديث الصُّورة ؛ فَلْيُعذَر مَنْ تأوَّل بعضَ الصِّفات ، وأمَّا السَّلَف ؛ فما خاضُوا في التَّأويل ؛ بل آمنوا وكَفُّوا ، وفوَّضُوا عِلْم ذلك إلى الله ورسوله ، ولو أنَّ كلَّ مَنْ أخطأ في اجتهاده – مَعَ صِحَّة إيمانه ، وتوخِّيه لاتِّباع الحقِّ – أهدرناه ، وبدَّعناه .. لقلَّ مَنْ يسلَمُ مِنْ الأئمَّة معنا ، رحم اللهُ الجميع بمنِّه وكرمه ﴾[1]

٣) التَّعالم وتصدُّر الأصاغر والمغمورين وتقديسُ الأشخاص :

التَّعالُمُ : مرضٌ قلبيٌ يُصيبُ بعضَ ضِعافِ الإيمان ؛ فيجعلُهم يَهرفون بما لا يَعرِفون ، ويتكلَّمونَ فيما لا يُحسِنون ، ويقولونَ على اللهِ بغير عِلْم ، ويَلبَسونَ لباس العُلماء الأخيار ، وهم بعيدونَ كلَّ البُعد عن منهج أولئك الأطهار .

ويتصدَّرونَ للفتوى في مسائل كبيرة كان يُجمع لأمثالها كِبارُ المُهاجرين والأنصار ، حتَّى إنَّ السَّائلَ يمرُّ على مائةٍ وعشرين صحابيًّا كلُّهم يَعتذرُونَ عن الفتوى[2] ، لا كِتمانًا للعِلْم ، ولكن خوفًا من الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر : ٢٨] وخَشية الزَّلل والخَطَل ؛ فلا يتكلَّمونَ إلَّا فيما يُتقِنونَ ممَّا كانت أدلَّته كالشَّمس في رائعة النَّهار .

---

١) السير (٣٧٦/١٤)

٢) أخرج ذلك الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم وفضله (٢٢٠١) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : ﴿ أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ ، ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه ، ولا يُحدِّث حديثا إلا ودَّ أن أخاه كفاه ﴾

والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣]

وانظر – يا رعاكَ الله – إلى موقف أبي بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما سُئل عن الآبِّ في قول الله تعالى : ﴿ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١] فقال : « أيُّ سماءٍ تُظِلُّني ، وأيُّ أرض تُقِلُّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم »[1] حتَّى عَرفوا تفسير ذلك من خِلال لغة العرب .

وكذا موقفه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من توريثِ الجدَّة السُّدُس[2] ، وغيره من المواقف التي تدلُّ على الوَرَع والخوف مِنَ الله ... ومثلُهُ سائر الصَّحابة والتَّابعين .

ومِن أسباب التَّعالُم : حبُّ الظُّهور ، والرِّياء ، والجهل بدِيْن الله الحقِّ ، ووجود مُندَسِّين يدَّعون السَّلَفية بين صفوف السَّلَفيين ، وقد يَثِقُ البعضُ بهؤلاء المُندسِّين مع جهلهم وقِلَّة بِضاعتهم في العلم ، وبُعدهم عن العلماء الرَّبانين ... حتَّى لقد قِيل عن أحد المُتعالِمين : إنَّ شهادته بشهادة مائة رجل !

فتعوذُ بالله من الفِتن ما ظهر منها وما بَطَن ، ونعوذُ بالله من الحَور بعد الكَور .

قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فكم رأينا نِزالا في حَلَائِبِ العِلْم ، مِنْ رائمٍ للبُروز قبلَ أنْ يَنضج ، فراشَ قبل أن يَبريَ ، وتزبَّبَ قبل أن يتحصرَم ..

١) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٣٠١٠٧) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٦٤)

٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢١٠٠) (٢١٠١) وابن حبان في صحيحه (٦٠٣١) والحاكم في مستدركه (٧٩٧٨) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التلخيص الحبير (٣/١٧٩–١٨٠) : « وإسناده صحيح لثقة رجاله ، إلا أن صورته مرسل »

وقد قيل : البدايةُ مَزَلَّة ! وقيل : مِنَ البَلِيَّة تشيُّخُ الصَّحَفيَّة ! ويُؤثر عن الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله : « العِلْم نُقطةٌ ، كثَّرها الجاهلُون ! »[1]

ونقل الشيخ بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا نفيسةً لبعض العلماء في هذا الباب ، نختارُ منها :

قال ابن عبد البَّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « لو سكتَ مَنْ لا يَعلَم سقطَ الاختلاف »[2]

وقال الإمامُ الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فالواجبُ على العالَمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلَّم في العِلْم مَن لو أمسكَ عن بعض ما تكلَّم فيه منه ؛ لكانَ الإمساكُ أولى به ، وأقربَ مِنَ السَّلامة له إن شاء الله »[3]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيَّته :

هـذا وإنِّي بـعـدُ مُمـتـحـن بـأر	بعـة وكـلُّـهُمُ ذوو أضـــغَـانِ
فـظٌ غـليظٌ جاهـلٌ متـمَعلِمٌ	ضَخمَ الـعِمامة واسعَ الأردانِ
مُتفيهقٌ مُتضلِّعٌ بالجهل ذُو	صَلَـعٍ وذو جَلَـحٍ مِنَ العِرفانِ
مُزجَى البِضاعةَ في العُلوم وإنَّهُ	زاجٌ مِـنَ الإيهـام والهَـذَيـانِ
يـشكـو إلى اللهِ الحـقـوقَ تظلُّمًا	مِـنْ جـهلِهِ كشِكاية الأبـدانِ
مِنْ جاهلٍ مُتطَببٍّ يُفتي الوَرَى	ويُحيـلُ ذاك على قَـضَا الرَّحمانِ

---

١) التعالم (٧) وأثر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذكره مرتضى الزبيدي في تاج العروس (١٥٣/٢٠) والأمير الصنعاني في سبل السلام (٦٥١/٢) وفي إرشاد النقاد (١٣٢)

٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٩٩)

٣) الرسالة (٣٤)

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ إذا تكلَّم المرءُ في غير فَنِّهِ أتى بهذه العجائب ﴾[1]

وذُكِرَ لسفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثرة المحدِّثين فقال : ﴿ أوليسَ قد يُضرب مثلٌ : إذا كَثُر الملَّاحونَ غَرِقت السَّفينة ؟! ﴾[2]

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ لا آفَةَ على العُلوم وأهلِها أضرَّ مِنَ الدُّخَلَاء فيها وهُم مِنْ غير أهلها ؛ فإنَّهم يَجهلونَ ويظنُّونَ أنَّهم يَعلمون ، ويُفسِدون ويُقدِّرونَ أنَّهم يُصلِحون ﴾[3]

وتأمَّل – بارك الله فيك – حديث المُتشبِّع بما لم يُعطَ ، وما جاءَ فيه من وعيد :

فعن أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إن لي ضَرَّةً ، فهل عليَّ جُناحٌ إنْ تشبَّعتُ مِنْ زوجي غير الذي يُعطيني ؟

فقال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « المُتشبِّعُ بما لم يُعْطَ كَلَابس ثَوبَي زُوْر »[4]

كما أن هُناك أسبابًا أُخرى غير ما ذُكِرَ ، من أعظمها : الوقوع في المعاصي والذُّنوب ، واتِّباع الهوى ، ومُخالفة النُّصوص الآمرة بالنَّصيحة لكلِّ مُسلم .

---

١) فتح الباري (٣/ ٥٨٤)

٢) المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (١/ ٥٦٠)

٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (٢٣)

٤) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠) .

قال ابن منظور في لسان العرب (١/ ٢٤٧) : ﴿ إن المتشبِّع بما لم يُعطَ : هو الذي يقول أُعطيت كذا لشيء لم يُعطَهُ ؛ فأما أنه يتصف بصفات ليست فيه ، يُريد أن الله تعالى منحه إياها ، أو يُريد أن بعض الناس وصله بشيء خصَّه به ؛ فيكون بهذا القول قد جمع بين كذبين : أحدهما اتصافه بما ليس فيه ، أو أخذه ما لم يأخذه ، والآخر الكذب على المُعطي ، وهو اللهُ ، أو الناس ﴾

ثانيًا : كيفَ نُعالج هذه الظَّاهرة :

إنَّ عِلاج مُشكلة التَّقاطع والتَّدابر والتَّناحر والهجر ... والطَّريق إلى رأب الصَّدْع بين أصحاب المنهج الواحد مَيسورٌ بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متى تجرَّدنا للحقِّ ، وتخلَّصنا من هوى النَّفس ، وخَلُصَتْ نِيَّاتُنا لله تبارك وتعالى ، ويُمكِنُ أن نذكر بعض وسائل العلاج على سبيل المثال لا الحصر على النَّحو الآتي :

أولًا : التَّواصلُ بين المُؤمنينَ عامَّة وطلبةَ العِلْم خاصَّة ؛ فإنَّ مِنْ أعظم الأمور التي تُعالَج بها هذه الظَّاهرة : هو التَّواصل والتَّراحم والتَّعاون بين أهل السُّنة السَّلفيين أصحاب المنهج الواحد ، وقد ألَّف شيخنا الشيخ عبد المُحسن البدر حفظه الله رسالة بعنوان : « رِفقًا أهلَ السُّنة بأهل السُّنة » وبعد فترة كتب رسالة أخرى : « ومرة أخرى رِفقًا أهلَ السُّنة بأهل السُّنة » وكان شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتب رسالة جميلة لتوجيه الدُّعاة السَّلَفيين أصحاب العقيدة الصَّحيحة السَّائرين على منهج السَّلف الصَّالح .

وانطلاقًا من هَدي الكتاب والسُّنة ، وما استفدتُّه من هذه التَّوجيهات لمشايخنا الأفاضل ونصيحةً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المُسلمين وعامَّتهم ، وإشفاقًا على طُلاب العِلْم والدُّعاة مِنْ هذا التَّشرذُم والتَّفرُّق ، ورأبًا للصَّدْع ، وتَفويتًا للفرصة على من يصطادُ في الماء العَكِر ... فإنِّي أقترحُ أن يُعيدَ بعض المشايخِ وطُلابِ العِلْم النَّظَرَ في طريقة المُعالجة لما يَحصل مِنْ أخطاء من بعضهم ، وذلكَ بأن يتواصلوا ويسلكوا مسلَكَ عُلمائنا ومشايخنا - المُتقدمين والمُتأخرين - والاجتهاد في ذلكَ ، والبدءَ بالنَّصيحة قبل

الرَّدِّ معَ التَّلطُّف والحكمة إذا احتاج الأمر إلى الرَّدِّ ، ولنقرأ بتمعُّنٍ كتابَ الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « الفَرْقُ بين النَّصيحة والتَّعيير » ؛ إذ اشتملَ الكتابُ على أمورٍ مُهمَّةٍ ، يجبُ على طالب العِلْم أنْ يُراعيها في نُصحه لإخوانه .

وقد ضَرَبَ الشَّيخان الفاضلان والعالمان الجليلان الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني والشَّيخ حمود التُّويجري رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ أروعَ الأمثال في التَّسامح والاحترام بين العلماء على ما بينهما من ردود قويَّة في عِدَّةِ مسائل ، لكنَّهما عند الالتقاء صار كلٌّ واحد منهما يُحيلُ ما طُرح من أسئلة إلى أخيه ، مع إظهار الأخوَّة والمحبَّة الصَّادقة التي تجمع بينهما ، والمَثَلُ نفسه يتكرَّر بين الشَّيخين عبد العزيز بن باز والشَّيخ الألباني فيما يختلفان فيه من مسائل علميَّة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام : ٩٠]

فتأسَّوا بهم ، واتَّبعوا منهجهم ، وتراحموا فيما بينكم ، واجتهدوا في إصلاح ذات البَين ، ورَأْبِ الصَّدْع ... على منهج السَّلَف الصَّالح .

ثانيًا : رَدُّ المُنازعات إلى كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وقد بيَّنتُ ذلكَ فيما تقدم .

ثالثًا : الاعتمادُ على منهج السَّلَف الصَّالح في الدَّعوة إلى الله تعالى ، وذلك بدراسة سِيَرهم وأساليبهم في الدَّعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وكيف كانَ يَحترمُ بعضُهم بعضًا ويُحبُّ بعضُهم بعضًا ، وما سمعنا منهم واحدًا ينتصرُ لنفسه ، أو يحاولُ إسقاط أخيه ، أو يبتر كلامه من أجل التَّشفِّي منه ، أو يُحذِّر منه إذا أخطأ قبل أن ينصحه ويوجهه ، أو يَفتري عليه بمجرَّد أن يختلفَ معه في وجهة نظر ، أو في مسألة اجتهادية يسعُ فيها الخلاف كما اجتهد فيها مَنْ قَبلنا .

وهذا هو سبيل المؤمنين الخُلَّص ، والدُّعاة المُخلصين ؛ الذين يَدْعونَ إلى الله على بصيرة ؛ فإنَّ السَّيْرَ على هديِهم : هو الطَّريق الوحيدُ لاجتماع الكَلِمة ووحدة الصف ؛ بل وسعادة الدَّارين .

رابعًا : الرُّجوعُ إلى العُلماء الرَّبَّانيِّينَ الذين يَقضونَ بالحقِّ وبه يَعدِلون

إنَّ العُلماء هُم أعلامُ الهدى ومَصابيحُ الدُّجَى ؛ فمنْ جَانَبَ طريقهم ، ولم يرجع إليهم في النَّوازل ؛ فإنه يَضِلُّ ويُضِلُّ ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣]

خامسًا : التَّواضعُ : فإنَّ « مَنْ تواضعَ لله رفعهُ الله »[١] أمَّا التَّعالي على النَّاس والتَّعالم ... فإنَّ هذا يُورِثُ الكِبْر ، وإذا تكبَّر الدَّاعيةُ أو طالبُ العِلْم ضلَّ وأضلَّ ؛ بل إنَّ ذلكَ يَخدِشُ الإخلاصَ ، ولذا ثبتَ عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أوَّلَ من يُقضى فيه يوم القيامة : « رَجُلٌ تعلَّم العِلْم وعلَّمهُ ، وقرأ القُرآن ، فأُتِيَ به ؛ فعرَّفَهُ نِعَمه فعَرَفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العِلْم وعلمته وقرأتُ فيكَ القُرآن ، قال : كذبتَ ، ولكنكَ تعلمتَ العِلْم ليُقالَ : عالم ، وقرأتَ القُرآن ليُقال : هو قارئ ؛ فقد قيل ، ثُمَّ أُمِرَ به فسُحبَ على وجهه حتَّى أُلقيَ في النَّار »[٢]

١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وأبو نعيم في الحلية (٤٦/٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيرهم ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٢٨)

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٠٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

سادسًا : غرسُ أواصِرَ الأُخوَّة والمحبَّة بينَ المشايخ وطلبة العِلْم ، انطلاقا من الحبِّ في الله والبغض في الله ، والمُوالاة في الله والمُعاداة في الله ، والإيثار ... فإنَّ رِباطَ الإيمان بين أهله أعظمُ من أيِّ رِباط ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [التوبة : ٧١] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠]

وقال رسول الله ﷺ : « المُسلمُ أخو المُسلم ، لا يَظلمه ولا يَخذله ولا يَحقره »[١]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « المُؤمنُ مرآةُ المُؤمن ، والمُؤمنُ أخو المُؤمن يكفُّ عليه ضَيْعتَهُ ، ويَحوطُهُ مِنْ ورائه »[٢]

والمُؤمنُ : هو الذي يتألَّم لآلام إخوانه ، ويأملُ بآمالهم ، ويُؤثِرَهم على نفسه ولو كان به خصاصَة ، وتأمل معي هذه الواقعة في معركة اليرموك :

قال حذيفة العدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي- ومعي شيءٌ من الماء - وأنا أقول : إن كان به رمَقٌ سقيتُهُ ؛ فإذا أنا به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ؛ فإذا أنا برجل يقول : آه آه ؛ فأشار إليَّ ابن عمِّي أن انطلق إليه ؛ فإذا هو هشام بن العاص ؛ فقلتُ : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ؛ فسمع آخر يقول : آه آه ؛ فأشار هشام أن انطلق إليه ؛ فجئته فإذا هو قد مات . فرجعتُ إلى هشام فإذا هو قد مات . فرجعتُ إلى ابن عمِّي فإذا هو قد مات)[٣]

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٩) وأبو داود في سننه (٤٩١٨) والبيهقي في الآداب (٩٠) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٦)

٣) تفسير القرطبي (٢٨/١٨) طبعة : دار الكتب العلمية .

وهذا مبني على قول رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مَثَلُ الجسد ، إذا اشتكى منه عُضو ، تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى »[1]

وقوله ﷺ : « المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان يشدُّ بعضُهُ بعضًا »[2] وشبَّك أصابعه .

فالله الله يا دُعاة السُّنة في تطبيق هذا المبدأ بينكم وبين إخوانكم ؛ فإنَّه أعظم علاج لإزالة الإحن ، واجتماع الكلمة ، وتوحيد الجهود في الدَّعوة إلى الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد جعل اللهُ فيها عباده المؤمنين بعضُهم أولياءُ بعض ، وجعلهم إخوةً ، وجعلهم مُتناصرين مُتراحمين مُتعاطفين .

وأمرهم سبحانه بالائتلاف ، ونهاهُم عنِ الافتراق والاختلاف ؛ فقال : ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وقال : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٩]

فكيف يَجوزُ معَ هذا لأمة مُحمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن تفترقَ وتختلف ، حتَّى يُوالي الرَّجلُ طائفةً ويُعادي طائفة أخرى بالظَّنِّ والهوى ؛ بلا برهان مِنَ الله تعالى ؟!)[3]

وجاء في رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أهل البحرين ، عندما تهاجروا وتقاطعوا ، وأوشكوا على الاقتتال في مسألة رُؤية الكفار لله عز وجل في الآخرة ، فذكر أقوال العلماء في المسألة ، ثم ذكر خمسة آداب يَجبُ مُراعاتها :

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا .

٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ .

٣) مجموع الفتاوى (٣/٤١٩-٤٢٠) طبعة : مجمع الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

١- أن من سكتَ عن الكلام في هذه المسألة ، ولم يَدْعُ إلى شيء ؛ فانه لا يَحِلُّ هجرُهُ ، وإن كان يعتقدُ أحد الطرفين ؛ فإن البدع التي هي أعظم منها لا يُهجر فيها إلا الداعية دون الساكت ؛ فهذه أولى .

٢- أنه لا ينبغي لأهل العِلْم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارا يُفضِّلون بها بين إخوانهم وأضدادهم ؛ فإن مثل هذا مما يكرهُهُ الله ورسولُه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ .

٣- وكذلك لا يُفاتحوا فيها عوامَّ المسلمين الذين هم في عافية وسلام من الفتن ، ولكن إذا سُئلَ الرجلُ عنها ، أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك : ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به .

٤- إذا اشتبه الأمر : هل هذا القول أو الفعل مما يُعاقَب صاحبه عليه أو مما لا يعاقَب ؟ فالواجبُ ترك العقوبة ؛ لقول النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (ادرأوا الحدود بالشبهات فإنَّك أن تُخطئ في العفو خيرٌ مِن أن تُخطئ في العقوبة) رواه أبو داود[1] ، ولا سيما إذا آلَ الأمرُ إلى شرٍّ طويل وافتراقِ أهل السُّنة والجماعة ، فإن الفساد النَّاشئ في هذه الفُرقة أضعاف الشَّرِّ النَّاشئ مِنْ خطأ نَفَرٍ قليلٍ في مسألة فَرعية .[2]

١) أخرج الحديث بنحوه الحاكم في مستدركه (٨١٣٦) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٧٠٦٢) وقال : (منقطع وموقوف) وأخرجه البغوي في السنة (١٠/ ٣٣٠) وقال : (لم يرفعه) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١٤٢٤) وقد صح موقوفا عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُأنه قال : (ادرءوا الجلد والقتل عن عباد الله ما استطعتم) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٩٤٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٠٦٤) وفي معرفة السنن والآثار (١٦٨٧٦) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٢٦)] وجاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٤٩٣) أنه قال : (لئن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات)

٢) قال الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ : (الاجتماع الذي فيه نقصٌ كبير خيرٌ منَ الافتراق الذي يُظنُّ فيه خيرٌ كثيرٌ) انظر : فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ (١٢/ ١٦٩)

٥- وإذا اشتبه على الإنسان أمرٌ : فليدْعُ بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت : كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اذا قام إلى الصلاة يقول : « اللّٰهم ربَّ جبرائيل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السَّموات والأرض ، عالم الغيب والشَّهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك ، إنَّك تهدي من تشاءُ إلى صراط مُستقيم »[1] .

والنَّاظرُ في مقاصد الشَّرع : يُدركُ أنَّ كثيرًا من الأحكام تُشعر المُؤمنَ بأهمية الاجتماع والائتلاف ، والبُعد عن التَّفرق والاختلاف ، ولأجل هذا كَم مَنَعت الشَّريعةُ مِنْ عُقودٍ ومُعاملاتٍ .. خَشية وُقوع النِّزاع ؟

والصَّلواتُ الخمسُ ، وأداؤها في جماعة ، وتسوية الصُّفوف ، والصُّوم ، والحجُّ ، وكون ذلك كله في وقت واحد ... يجعلُ المُسلمَ (الفَطِنَ المُتجرِّدَ) يَحرِصُ على تنمية هذه المحبَّة والأخوَّة و يَحرِصُ على جمع الكلمة ، وتفويت الفُرصة على أعداء الإسلامْ والسُّنة حتى لا يَصطادوا في الماء العكر[2].

سابعًا : وجوبُ التَّعاون على نشر الخير ، وإن وُجِدَ اختلاف في بعض المسائل ؛ فالمذمومُ هو التَّفرق والخلافُ الحزبيِّ البدعيِّ ؛ الذي يصلُ بأصحابه إلى مُفارقة الجماعة ومُوالاة أهل البدع .

---

١) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٣-٥٠٦) باختصار .

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧٠) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا .

٢) راجع في هذا المعنى محاضرة لشيخنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بعنوان : (الحث على المودة والائتلاف والتحذير من الفرقة والاختلاف) وهي مفرغة ومطبوعة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران ١٠٥]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩]

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وإنَّ أمَّتي ستفترقُ على ثلاث وسبعينَ فِرقة ، كُلُّها في النَّار إلَّا واحدةً ، وهي : الجماعة »[1]

وفي الرواية الأخرى : قلنا من هي يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي »[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ وهذا التَّفريقُ الذي حصلَ من الأمَّة (علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها) هو الذي أوجبَ تَسلُّطَ الأعداء عليها ، وذلك بتركهم العمل بطاعة اللهِ ورسولِهِ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ [المائدة : ١٤]

فمتى تركَ النَّاسُ بعضَ ما أمرهُم اللهُ به وقعتْ بينَهُم العداوةُ والبغضاءُ ، وإذا تفرَّقَ القومُ : فَسَدوا وهَلَكوا ، وإذا اجتمعوا صَلَحُوا ومَلَكوا ؛ فإنَّ الجماعةَ رحمةٌ والفُرقة عذابٌ ›[3]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ ووقوعُ الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروريٌّ لا بدَّ منه ؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ، ولكنَّ المذمومَ : بغيُ بعضهم على بعض وعدوانه ؛ وإلَّا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التَّباين والتَّحزُّب ، وكلٌّ مِنَ

---

١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٧٣) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وابن ماجه في سننه (٣٩٩٣) وابن أبي عاصم في السنة (٦٤) وغيرهم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٢)

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط والصغير (٤٨٨٦) (٧٢٤)والآجري في الشريعة (١١١) وغيرهم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٤١)

٣) مجموع الفتاوى (٤٢١/٣)

المُختلفين قَصدُهُ طاعةَ اللهِ ورسولِهِ : لم يَضُرَّ ذلك الاختلاف ؛ فإنَّه أمرٌ لا بُدَّ منه في النَّشأة الإنسانية ، ولكنْ إذا كان الأصلُ واحدًا ، والغايةُ المطلوبة واحدةٌ ، والطَّريقُ المَسلوكةُ واحدةٌ : لم يَكَدْ يقعُ اختلافٌ ، وإنْ وقعَ : كانَ اختلافًا لا يَضُرُّ ، كما تقدم من اختلاف الصَّحابة ؛ فإنَّ الأصلَ الذي بَنَوا عليه واحدٌ ، وهو كتابُ الله وسُنَّة رسوله ، والقصدُ واحدٌ ، وهو طاعةُ الله ورسوله ، والطريقُ واحدٌ ، وهو النَّظرُ في أدلَّة القُرآن والسُّنة ، وتقديمها على كلِّ قول ورأي وقياس وذوق وسياسة »[1]

ونستفيدُ من كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ ما يلي :

١) أنَّ الاختلاف واقع بين الأمة لا محالة ، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : « ومن يَعِشْ منكم : فسيرى اختلافًا كثيرًا »[2]

٢) أنَّ الخلافَ المذموم : هو الخلاف في الأصول ، وفيما اتَّفقَ عليه عُلماء السَّلَف في المسائل والثَّوابت التي لا يَسوغُ الخلاف فيها .

أما المسائل الاجتهادية : فالأمرُ فيها واسعٌ والحمدُ لله .

٣) أنَّ الاختلافَ على نوعين : اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد

فاختلاف التَّنوع : إنَّما يكونُ في المسائل التي وردت فيها أكثر من صفة أو صيغة عن الشَّارع الحكيم ، كصِيَغِ دُعاء الاستفتاح ، وصِيَغ التَّشهُّد ، وصِيَغ الأذان والإقامة ، وما جاء من صفات مُتعددة في صلاة الخوف ، ونحو ذلك .

---

١) الصواعق المرسلة (٢/٥١٩) طبعة : دار العاصمة .

٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٤٢) وابن ماجه في سننه (٤٣) وأبو داود في سننه (٤٦٠٧) وغيرهم عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٧)

وكذلك الاختلافُ في المسائل الفقهيَّة التي قال فيها كلٌّ واحدٍ بحسب ما ظهر له من الدَّليل المُحتمِل .

أمَّا اختلافُ التَّضاد : فإنَّه يكون في المسائل التي وردتْ فيها نصوص ظاهرها التَّعارض ؛ فيُرجع فيها إلى طُرق الجمع والتَّرجيح المعروفة عند السَّلَف ، وما جاء فيها من نصٍّ جليٍّ واضحٍ مُحكَم : فإنَّ الواجبَ هو الأخذ به ، وترك ما يُخالفُهُ من أقوال .

وليس كلُّ خلافٍ جاءَ مُعتبرًا   إلَّا خِلافٌ لهُ حظٌّ مِنَ النَّظرِ

٤) أنَّه لا يجوزُ ذَمُّ مَنْ أخطأ في المسائل الاجتهادية ، أو مَنْ كانَ له تأويلٌ سائغٌ ؛ بل هو مأجورٌ على اجتهاده وإن أخطأ .

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : « إذا حَكَم الحاكم فاجتهد ، ثمَّ أصابَ فلَهُ أجران ، وإذا حكم فاجتهد ، ثمَّ أخطأ : فله أجر »[1]

وإنِّي أهيبُ بإخواني السَّلَفِيين خاصَّة : أن تتَّسع صدورهُم إنْ خالفَ أخٌ لهم في مسألة اجتهادية لحُجَّة لَاحَتْ له ، وأنْ يعلموا أنَّه لا يُمكنُ أنْ يجتمعَ الكلُّ على قول واحدٍ في كلِّ المسائل والوقائع الاجتهادية التي فيها احتمال ، وللنَّظر فيها مجال ؛ فعليهم جميعًا أنْ يَجتهدوا في تضييق هُوَّة الخلاف ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا ، لاسيما أنَّ بعض الاختلافات مَردُّها إلى التَّهويل والتَّضخيم والمُبالغة ...

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ .

ثامنًا : الرِّفقُ

إنَّ الرِّفقَ في التَّعامل مع جميع الأمور والمسائل : خُلُقٌ عظيمٌ .

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : « رفيقٌ يُحبُّ الرفق في الأمر كله »[1] و « إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيء إلَّا زانَهُ ، ولا يُنزَعُ مِنْ شيء إلَّا شانَهُ »[2] وإن الله : « يُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العُنف ، وما لا يُعطي على ما سِواه »[3]

والرِّفقُ : خُلُق عظيم معَ جميع النَّاس ، حتَّى مع الكُفَّار منهم

فقد قالت اليهود يوما للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّامُ عليك ؛ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « وعليكُم » فقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : وعليكم السَّام واللَّعنة وقالت : يا رسول الله ! أولم تسمع ما قالوا ؟ فقال : « قد قلتُ : وعليكم »[4]

فإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حثَّ على الرِّفق حتَّى مع هؤلاء اليهود إخوان القردة والخنازير ، أفلا يَجدُرُ بنا نحنُ أصحابَ المنهج الواحد أن نسيرَ على هذا الخُلُق ، وأن يَرفِقَ بعضُنا ببعض ، وأن يرحَمَ بعضُنا بعضًا ؟!

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٩٢٧) واللفظ له ، ومسلم (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٤) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

تاسعًا : البعدُ عن البغي والهوى ، والتزامُ الإنصاف معَ المُخالف

إنَّ طالبَ العِلْم المُنصِف مِنْ نفسه ومعَ إخوانه : هو الذي يبتعدُ عن حُظوظ النَّفس والهوى والأنانيَّة وحبِّ الذَّات ؛ فلا يَبغي على إخوانه ، ولا يظلمهم لا بقول ، ولا بفعل ، ولا بتحميل كلامهم ما لا يَحتمل ؛ فالاختلافُ في الرَّأي لا يجوزُ له أنْ يُفسدَ للودِّ قضية ؛ إنَّما يَحصُلُ الفسادُ مِنَ الاختلاف إذا صاحبه ظُلمٌ وبَغيٌ .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٩]

وقد أمر اللهُ عز وجل بالإنصاف والعدل حتَّى مع الكُفَّار

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة : ٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وهذه الآية نزلت بسبب بُغضهم للكُفَّار ، وهو بغضٌ مأمورٌ به ؛ فإذا كان البغضُ الذي أَمر اللهُ به قد نُهي صاحبُهُ أن يَظلِمَ مَنْ أبغضه ، فكيفَ في بُغض مُسلم بتأويل وشبهة ، أو بهوى نفس ؟! فهو أحق أن لا يُظلَم »[١]

١) منهاج السنة النبوية (١٢٧/٥) طبعة : جامعة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فطالبُ العِلْم المُنصف : يقدرُ الأمور قَدْرها ؛ فلا يُعطيها أكبر مِنْ حجمها ، ولا يُضخِّم الأخطاء ؛ فيذكر الخطأ كما هو إنْ دَعَت الحاجةُ إلى ذِكْره معَ احترام أخيه المُخطئ ، وعدم تَجريحه بلا سبب وجيه ، معَ الأخذ في الاعتبار مُراعاة الظُّروف التي حملتهُ على هذا الخطأ .

وانظر - يا رعاك الله - إلى قِصَّة الصَّحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف قَبِلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُذْرَهُ ووصَفهُ بالصِّدق ، وغفر اللهُ له هذا الخطأ لصِدْقه وكونه من أهل بدر ؛ لكنه كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متأولا لفعله ، ولم يقصد موالاة الكفار أبدًا ، وقد ناداه الله باسم الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة ١] معَ أنَّ الأمر الذي أخطأ فيه خطير في الحقيقة[١] .

وعلى مثل هذا فَقِسْ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « مِنْ قواعد الشَّرع والحكمة - أيضًا - أنَّ مَنْ كَثُرتْ حسناتُهُ وعَظُمَتْ ، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ؛ فإنَّه يُحتمل له ما لا يُحتملُ لغيره ، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره ؛ فإنَّ المعصيةَ خبثٌ ، والماء إذا بلغَ القُلَّتين : لم يَحمل الخبث »[٢]

وهذا أمرٌ معلومٌ عند النَّاس ، مُستقرٌّ في فِطَرهم : أنَّ مَنْ له ألوفُ الحسنات ؛ فإنَّه يُسامح بالسَّيئة والسَّيئتين كما قيل :

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ   جاءتْ مَحاسِنُهُ بألف شَفيعِ

١) قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجها البخاري في صحيحه (٣٩٨٣) (٦٢٥٩) (٦٩٣٩) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢) مفتاح دار السعادة (١/١٧٦) طبعة : دار الكتب العلمية .

عاشرًا : دراسةُ كُتُب الرَّقائق التي تُعالج أمراضَ القُلوب

إنَّ قلوبَ العباد تمرضُ كما تمرضُ الأجساد ، وتَصدأُ كما يَصدأُ الحديد

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ألَا وإنَّ في الجسد مُضغة : إذا صَلَحت صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ ، وإذا فَسَدت فَسَدَ الجسدُ كلُّهُ ، ألَا وهيَ القلب »(١)

فإذا أردنا تَحصينَ القُلوب مِنَ الغِلِّ والحِقد والحَسد والبغي والهوى ، وإذا أردنا كبحَ جِماحِ النُّفوس مِنَ الانحراف : فعلينا أن نبذُلَ قُصارى جَهدِنا في إيجاد الأسباب التي تُصلِحُ تلك القُلوب ، وتُبعدها عن هذه الأدواء ، وتَحمل أصحابها على خشية الله ومراقبته ، والعمل بما يُرضيه ، والبُعد عن مَساخطه ، وذلك بتلاوة القُرآن وتدبُّره وتأمُّله ، قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَوَاظِبْ على دَرْسِ القُرَانِ فإنَّهُ   يُلَيِّنُ قَلبًا قاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدِ(٢)

وكذلك العنايةُ بالسُّنَّة ، وتدبُّرها وتأمُّلها ، وقراءة كُتُب الرَّقائق ، مثلَ كتب ابن القيم كالفوائد ، وعِدَّة الصَّابرين ، ومفتاح دار السَّعادة وطريق الهجرتين والجواب الكافي ، وكتب الشَّيخ السَّعدي ، مثلَ كتاب شجرة الإيمان ، ونحو ذلك من كتب الرَّقائق الخالية مِنَ البدع والتَّصوف ، والمُنسجمة مع منهج السَّلف الصَّالح .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ – ٤١]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

٢) نقله ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب الشرعية (٣/٥٨٩)

الحادي عشر : مُراعاة المصالح والمفاسد

إنَّ النَّاظِرَ في قواعد الشَّرع ومقاصده : يلحَظُ أنَّ ثمَّة قواعد يجبُ مُراعاتها والعمل بها حفاظًا على المصالح ودرءًا للمفاسد ، منها : إن درء المفاسد : مُقدَّم على جَلْب المصالح ، ومنها : ارتكابُ أخفِّ الضَّررين في سبيل دفع أعلاهُما ، وبعبارة أوضح : تُحتَملُ المفسدة الدُّنيا لتفادي الوقوع في المفسدة الكُبرى .

وانظر - يا رعاك الله - إلى قول النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما سألته عن إعادة بناء الكعبة : « لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكفر لفَعَلْتُ »[1] ثمَّ إنَّه لمَّا تولَّى عبد الله بن الزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا هدمَ الكعبة ، وأعادها على قواعد إبراهيم ، ثمَّ جاء الحَجاجُ فهدَمَها مِنْ جديد ، وأخرج الحِجْر ، وأعادها كما كانت ؛ فلمَّا جاء المنصور العبَّاسي ، أراد أن يهدمها واستشار الإمامَ مالكا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم يُوافقه على ذلك ، وقال : « إني أكره أن يتخذها الملوك مَلعبةً ؛ فتركها على ما هي عليه ؛ فهي إلى الآن كذلك »[2] .

وهذا رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ترك المُنافقينَ ؛ فلم يُعاقبهم معَ فَضْح الله لهم ، ومعرفة النبي لأسماء كثير منهم ؛ لكي « لا يتحدَّثَ النَّاسُ أنَّ مُحمَّدًا يَقتُلُ أصحابَهُ »[3] وكان يَرى الأصنامَ المُحيطة بالكعبة فلم يُزِلْها ، حتَّى قَوِيَتْ شوكة المُسلمين بفتح مكة ؛ فكسَرَها وهو يَتلو قولَ الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[4]

[الإسراء : ٨١]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (١٥٨٣) ومسلم (١٣٣٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/٤٩٠) طبعة : دار هجر

٣) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

٤) أخرج ذلك البخاري (٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

وأمثالُ ذلكَ كثيرٌ من تطبيق هذه القاعدة (ارتكاب أخفِّ الضَّررين ، أو درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح) فالعمل بهذه القاعدة يجبُ أن ينسحبَ على كلِّ مُخالف .

فإذا كانت الرُّدود بين طلبة العِلْم تُؤدي إلى مَفسدة كُبرى يَستغلها أعداءُ السُّنة ؛ فإنَّ الواجبَ هو التَّناصُحُ وبيانُ الحقِّ بدليله ، ومعالجةُ كلِّ قضيَّة بما يقتضيه الحال .
معَ الأخذ في الاعتبار : المحافظةَ على مكانة المردود عليه ، وحفظ منزلته .

وتأملوا - يا رعاكم الله - في تعامل عُلماء السَّنة معَ كتب ابن حجر والنَّووي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وغيرهما من كتب العِلْم (التي وقع أصحابها في كثير من الهَنَات والأخطاء ؛ بل والتَّأويلات) فيردُّون الخطأ ، معَ حِفْظ مكانة هؤلاء العُلماء ، واقرأوا تعليقات شيخنا الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُٱللَّهُ على فتح الباري ؛ المشتملة على بيان أخطاء الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ العقدية ، مع حفظ قدْره ومكانته .
يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ : « النَّبيُّ ﷺ شَرَع لأمَّته إيجابَ إنكار المُنكر ؛ ليحصلَ بإنكاره مِنَ المعروف ما يُحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ؛ فإذا كان إنكارُ المُنكر يستلزمُ ما هو أنكرُ منهُ وأبغضُ إلى اللهِ ورسولِهِ : فإنَّه لا يَسوغُ إنكارُهُ ، وإنْ كانَ اللهُ يُبغضُهُ ويمقُتُ أهلَهُ »[1]

فإذا أدَّى الإنكارُ إلى مفسدة أكبر وجَبَ التَّوقُّفُ والانتظار بل وجَبَ توقُّفُ الإنكار .
قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨]

١) إعلام الموقعين (١٢/٣) طبعة : دار الكتب العلمية .

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فإذا لم يحصل النُّور الصَّافي ؛ بأن لم يُوجد إلَّا النُّور الذي ليس بصافٍ ؛ وإلَّا بقيَ الإنسانُ في الظُّلمة ؛ فلا ينبغي أن يَعيبَ الرَّجُلُ ويُنهى عن نور فيه ظُلمة ؛ إلَّا إذا حصلَ نورٌ لا ظُلمة فيه »[1]

فكم مِنْ نُور للدَّعوة أُطفِئ ، وكم مِنْ مَصلحة دَعويَّة أُجهضت بسبب العَجَلة والتَّحذير من الدُّعاة المُخلصين ، وطُلاب العِلْم السَّلفيِّين ؛ الَّذين يُمكن أن ينفعَ اللهُ بعِلْمهم ، ويُنيروا للمجتمع الطَّريق ، لو لم يُطفأ هذا النُّور ، وتُوجد تلك العقبات من طُلاب عِلْم صِغار ، وجُهَّال أغرار ، سَلَكوا هذا المسلك المَشين ؛ فأفسدوا مِنْ حيثُ ظنُّوا أنَّهم مُصلحون !

وأذكُرُ عبارةً لشيخنا الشيخ علي بن مُحمَّد بن ناصر فقيهي وهو يُناقشُ بعضَ زُعماء الإخوان المُسلمين ، الذين التقينا بهم سَنة اثنين وأربع مائة وألف للهجرة النَّبوية ونحنُ في كانو بنيجيريا ، حيثُ قال ما خُلاصته : إذا كان عندنا بناء ، وفيه نقصٌ ، هل نُزيله لنقيمَ صَرحًا على أنقاضه ، أم نجتهدُ في إكمال النَّقص ؟! ثم قال لهم : إنَّ دَعوتكم هذه : كالَّذي يبني في الهواء من غير تأسيس

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩]

فتأمَّلوا يا دُعاة الإسلام والسُّنة هذا المعنى وطبِّقوه ، ولا تَهْدِموا بناءً قائمًا مِنْ أجل منهج تَبنيتُموهُ ؛ بل أسهموا مع إخوانكم في بناء هذا الصَّرح على البرِّ والتَّقوى ، واتَّقوا الله .

---

١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٤)

الثَّاني عشر: فهمُ الكلام المنقول كما أراد قائلُهُ، والتثبُّت مِنْ صِدق النَّاقل

إنَّ بعضَ ما يقعُ في السَّاحة الدَّعوية من المُهاترات والرُّدود والإلزامات والنَّقد: يَرجِعُ إلى أنَّ البعضَ لم يفهم الكلام المنقولَ على الوجه الَّذي يُريدُهُ قائلُهُ؛ إمَّا لعَدَم فَهْم المُخاطَبِ، وإمَّا نتيجةً للثِّقة المُفرطة في بعض النَّقلة.

وكم مِنْ عائبٍ قَولًا صَحيحًا وآفتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقيم

فطالبُ العِلْم المُتجرِّد للحقِّ: لا يتسرَّعُ في قَبول الأخبار على عواهِنِها حتَّى يتأكَّد مِنْ قَصد القائل، وصِحَّة النَّقل، وفَهم لُغَته ومراده، حتَّى يُحيطَ بجميع جوانبه؛ فإذا ردَّ يكونُ ردُّهُ حينئذٍ ردًّا صحيحًا مُدعَّمًا بالدَّليل، معَ مُراعاة المصلحة والمفسدة المُترتِّبة على هذا النَّقل (كما تقدَّم).

هُم نَسَبوا عنِّي الذي لم أفُه به وما آفةُ الأخبار إلَّا رُواتها

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثير مِنَ النَّاقلين ليس قصدُهُ الكذب، لكنَّ المعرفةَ بحقيقة أقوال النَّاس من غير نقل ألفاظهم، وسائر ما به يُعرَفُ مُرادهم: قد يتعسَّرُ على بعض النَّاس، ويَتعذَّرُ على بعضهم»[1]

فالواجبُ على طُلاب العِلْم إذا جاءهم خبرٌ: أن يتثبَّتوا؛ فلا يَروُونَ كلَّ ما يُنقل، ولا يَروُونَ عن كلِّ ناقل.

قال يحيى بن مَعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا كتبتَ فقَمِّشْ، وإذا حدَّثتَ ففَتِّشْ»[2]

---

١) منهاج السنة النبوية (٦/٣٠٣)

٢) سير أعلام النبلاء (١١/٨٥) طبعة: مؤسسة الرسالة.

وقبلَ هذا وذاكَ قولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ [النساء : ٩٤]

والمراد بالتبيُّن : التَّعرُّف والتَّبصُّر والأناةُ وعدمُ العَجَلة ، حتَّى يَتَّضحَ الأمرُ ويظهر ، وهذا يحصُلُ في النَّقل والمَنقول ؛ فأمَّا النَّقل : فبالتَّحقق مِنْ صِدق النَّاقل وسلامته .

ولذا قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بئسَ مَطيَّةَ الرَّجلِ : زَعَموا »[1]

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ وإنَّما يُقال (زعموا) : في حديث لا سَنَد له ، ولا ثَبْتَ فيه ، وإنَّما هو شيء يُحكى على الألسن على سبيل البلاغ ؛ فذمَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الحديث ما كان هذا سبيلُهُ ، وأمر بالتثبُّت فيه والتَّوثُّق لما يحكيه من ذلك ؛ فلا يرويه حتَّى يكونَ مَعزيًّا إلى ثبتٍ ، ومَرويًّا عن ثقةٍ ›[2]

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ ومَنْ أرادَ أن ينقُلَ مقالةً عن طائفةٍ : فلْيُسمِّ القائل والنَّاقل ، وإلَّا فكلُّ أحدٍ يقدِرُ على الكذب ›[3]

---

١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٠٧٥) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٣) وأبو داود في سننه (٤٩٧٢) وغيرهم عن عقبة بن عمرو البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٦)

٢) معالم السنن (٤/ ١٣٠) طبعة : المطبعة العلمية .

٣) منهاج السنة النبوية (٢/٥١٨)

الثَّالث عشر : عدم الاغترار بكثرة الأتباع

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣]

قد يَغترُّ البعضُ بكثرة أتباعه ومُريديه ؛ فيظنُّ أنَّه قد أصبحَ عالمًا نِحريرًا وبطلًا شهيرًا ، ومِنْ جانب آخر قد يُرهبُهُ هؤلاء الأتباع ويخافهم عندما يخشى أن يتحوَّلوا إلى غيره إذا لم يخضع لرغباتهم ، ولم يَركُن لآرائهم .

وبالمُقابل فإنَّ الأتباعَ قد يَغترونَ به ، ويُفتتنون به ؛ فلا يتَّبعونَ الحق الذي معَ غيره ، ولو كان هذا المتبوع على باطل .

وهذا أمرٌ خطيرٌ قد يقع فيه كثير مِنَ المُتعالمين معَ أتباعهم الذين لا يُهمُّهم إلَّا كثرةُ تجميع النَّاس حولهم ، على قاعدة الاغترار بالسَّواد الأعظم !

وهذا مُخالف لهدي الكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأمة من أن الكثرةَ والقِلَّةَ ليستا علامةً على الحقِّ ؛ فإنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدَّد ، والحقُّ أحقُّ بالاتباع ولو خالفه النَّاس .

فاحذروا أحبابي طُلاب العِلْم من الاغترار بكثرة الأتباع ؛ فإنَّه قد لا يَعدو أن يكونَ : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٣٩]

الرَّابع عشر : وجوبُ حُسْنُ الظَّنِّ بأخيكَ المُسلم

فإنَّ الأصلَ في المُسلم السَّلامةُ من القَادح ، ما لم يظهر خلاف ذلك مُدعَّمًا بالدَّليل .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾ [الحجرات : ١٢]

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ ﴾ [النجم : ٢٣]

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ : « إيَّاكم والظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديث »[١]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ : « كفى بالمرء كَذِبًا : أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سَمِع »[٢]

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ : ‹ لا تظننَّ بكلمة خرجت من مُسلم شرًّا ، وأنت تَجِدُ لها في الخير محملًا ›[٣]

فاجتنبوا الظنَّ أحبابي طُلاب العِلْم ، واحملوا مقالات إخوانكم على المحمل الحسن ، وإيَّاكم وبترَ الكلام ، وتقويلَ إخوانكم ما لم يقولوا ، وإلزامهم ما لا يلزمهم .

وطبِّقوا أثر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ المُتقدِّم ، وظنُّوا بإخوانكم خيرًا ، وإن صدرتْ منهم بعض الزَّلَّات (كما تقدَّم)

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ .

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ .

٣) روضة العقلاء (٩٠) طبعة : دار الكتب العلمية .

الخامس عشر: قَبولُ الحقِّ ممَّنْ جاء به

على طالب العِلْم أن يتجرَّد للحقِّ، ويخضع له، حتَّى وإن نطق به الخصم؛ فهذا أبو هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُقرُّ قول الحقِّ الذي نطق به الشيطان عندما قال له: ‹ إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي › بل قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « صَدَقَكَ وهو كَذوب »[1]

وتوضيح ذلك أن يُقال: إن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يقبل الحقَّ من الشَّيطان؛ إنما قَبِلَ به بعدما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما قال له فصدقه النبي ﷺ

وفي قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « صدقك وهو كذوب » ردٌّ على من يقول: نحن نأخذ العلم من أي أحد دون قَيد أو شرط؛ فنقبل الحقَّ ونردُّ الباطل!

فأبو هريرة ما طلب عِلمًا من الشَّيطان؛ إنَّما صَدَّقه بتصديق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لقوله؛ وإلَّا فهو كذوب غير مأمون، كما هو حال أهل الأهواء؛ فلا يُؤخذ العلم عنهم ابتداءً، وإذا خرجَتْ منهم عبارة تُوافق الحقَّ نقبلها تعظيمًا للحقِّ لا لهم.

وقد جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا مُحمَّد! إنا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السَّموات على إصبعٍ والأرَضينَ على إصبعٍ، والشَّجَر على إصبعٍ، والماء والثَّرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلائق على إصبعٍ، فيقولُ: أنا الملك.

---

1) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣١١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فضحكَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحَبر ، ثمَّ قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧][1]

وجاء حَبرٌ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنكم تشركون ! تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قولوا : ما شاءَ اللهُ ثمَّ شِئْتَ ، وقولوا : وربِّ الكعبة »[2]

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (من جاءك بالحقِّ فاقبل منه ، وإن كان بعيدًا بغيضًا ، ومَنْ جاءك بالباطل ؛ فاردده عليه ، وإن كان قريبًا حبيبًا)[3]

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٩٣) والنسائي في سننه (٣٧٧٣) والحاكم في المستدرك (٧٨١٥) وغيرهم عن قُتَيلة بنت صيفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦)

٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (١/٢٣٤) وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٤) وبنحوه عن أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، انظر الحلية (٩/١٢١)

السادس عشر : استعمال المعاريض والإشارات والتَّلويح والتَّلميح بدلا من الفضائح والتَّجريح والتَّصريح إذا كان ذلك يكفي لتَّصحيح الخطأ ، وإزالة المنكر

وتأمَّل معي – يا رعاك الله – هديَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تنبيه الشَّباب الذين أرادوا أن يفعلوا أمورًا مخالِفَة للسُّنة اجتهادًا منهم ، ومعلومٌ أنَّهم لو فعلوها لوقعوا في البدعة .
وذلك بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أُصلِّي وأنام ، وأصومُ وأُفطر ، وأتزوجُ النِّساء ؛ فمنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي »[1]
قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا واصفة هدي النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كان إذا بلغَهُ عن الرَّجل شيءٌ : لم يَقُل : (ما بالُ فلان يقولُ) ولكن يقولُ : « ما بالُ أقوام يقولون كذا وكذا »[2]
يُؤيِّد ذلك : وجوبُ السَّترِ على المُخطئ في الأمور التي ليس فيها خطر على العامَّة يَستوجبُ التَّحذير منه .
قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ستر مُسلمًا : سترهُ اللهُ يوم القيامة »[3]
وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أقيلُوا ذَوِي الهيئات عَثَراتِهِم »[4]
وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أقالَ مُسلمًا : أقَالَ اللهُ عثرتَهُ يومَ القيامة »[5]

---

١) متفق عليه : أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) واللفظ له ، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٨٨) والبيهقي في الشعب (٧٧٤٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٥٨٨١) وغيرهم عن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٦٤)

٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٤٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، ومسلم (٢٥٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٥) وأبو داود في سننه (٤٣٧٥) والنسائي في السنن الكبرى (٧٢٥٣) وغيرهم عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٣)

٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٩٩) وأبو داود في سننه (٣٤٦٠) والحاكم في المستدرك (٢٢٩١) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٣٣٤)

ومِمَّا يَجدُرُ التَّنبيه إليه هنا : التَّأكيدُ على أن ذِكْر المُخطئ باسمه أمرٌ مطلوبٌ شرعًا إن كان مِمَّن اشتُهرَ أمرُه ، وكانَ داعيًا إلى خطئه وبدعته ، واقتضتْ المصلحةُ التَّشهير به .

ومِمَّا يدلُّ على ذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة بنت قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عندما قالت له تستنصحه : إن معاوية بن أبي سفيان ، وأبا جهم خطباني ؛ فقال ﷺ : « أما أبو جهم ؛ فلا يضعُ عصاهُ عن عاتقه ، وأما مُعاوية ؛ فصعلوكٌ لا مالَ له »[1]

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل استأذن عليه ، وكان قد عَلِمَ حاله : « ائذنوا له ، بئسَ أخو العشيرة ، أو ابن العشيرة »[2]

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وفي هذا الحديث : مُداراة من يُتَّقى فُحشُهُ ، وجواز غِيبة الفاسق المُعلن فسقه ، ومَنْ يَحتاج الناسُ إلى التَّحذير منه)[3]

مع التنبيه إلى أنَّ بعضَ أهل البدع حقُّهم أن لا يُذكروا بأسمائهم ؛ لئلَّا يُشتَهرَ أمرهُم بين النَّاس ، كونهم مغمورين غير معروفين ، وذِكْرهم بأسمائهم قد يَرفعُ مِنْ شأنهم .

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٦٠٥٤) ومسلم (٧٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٣) شرح مسلم (١٦/١٤٤)

السابع عشر : وجوبُ توجيه طلاب العِلْم إلى الاشتغال بالعلم والتَّعلم ، والتَّفقه في دِين الله تعالى ، والاجتهاد في فهم الكتاب والسُّنة وَفق منهج السَّلَف الصَّالح ، بعيدًا عن الإفراط والتَّفريط ، حتَّى يَسلَموا من هذا التَّخبُّط والتَّقاطع والتَّباغض والتَّدابر والتَّهاجر ... بسبب اشتغالهم في أمر لا يُحسنونه ؛ فرحم اللهُ امرأ عَرَف قدْر نفسه .

ولا يجوزُ لهم الاشتغال بالجرح والتَّعديل قبل أن يتفقَّهوا في هذا العِلْم ، ويَضبطُوا قواعده ...

أمَّا أن يُجعلَ هذا العلم مُبتذَلًا لكلِّ أحدٍ حتَّى الجُهَّال ومن هم حديثو عهد بالإسلام ؛ فهذا أمر في غاية الخطورة ، جعلَ بعضَ صغار طلبة العلم يُطبِّقونه على غير منهج السَّلَف الصَّالح !

والواجبُ أن نَكِلَ هذا الأمر للعلماء الربَّانيين الذين يُتقِنون هذه الصُّنعة ، بدلًا من الخوض فيما لا يُحسنون ؛ فأرجع الحقَّ إلى نِصَابه ، وأعط اللَّيث مَنيع غابِهِ ، حتَّى لا تَزِلَّ قدمٌ بعد ثُبوتها ؛ فتندمُ ساعةَ لا ينفعُ النَّدم .

وهُنا أنبِّه على بعض الضَّوابط التي أظنُّ أنَّ الخلل الحاصل في تطبيقها اليوم كان السببَ الأساس فيما يَجري من تنافر وتباغض بين أصحاب الطَّريق الواحد ، وسأكتفي بالإشارة إليها لئلا أطيل .

وسأقدِّم لها بذِكْر كلامٍ لبعض أفاضل المشايخ المُعاصرين ، حيثُ إنَّهم أشاروا إلى كثير من هذه الضَّوابط السُّنِّيَّةَ السَّنَية .

وأبدأُ بالنَّقل عن الإمام العلَّامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ قال : « والخلاصة : أن الشَّريعة الكاملة جاءت باللِّين في محلِّه ، والشِّدَّة في محلِّها ؛ فلا يجوزُ للمُسلم أن يتجاهل ذلك ، ولا يجوزُ – أيضًا – أن يُوضَعَ اللِّينُ في محلِّ الشِّدة ، ولا الشِّدةُ في محلِّ اللِّين ، ولا ينبغي – أيضًا – أن يُنسبَ إلى الشِّريعة أنَّها جاءت باللِّين فقط ، ولا أنَّها جاءت بالشِّدة فقط ؛ بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكلِّ زمان ومكان ، ولإصلاح جميع الأمة .

ولذلك جاءت بالأمرين معا ، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة ؛ فهي شريعة سَمْحة في أحكامها ، وعدم تكليفها ما لا يُطاق ، ولأنها تبدأ في دعوتها باللِّين والحكمة والرِّفق ؛ فإذا لم يؤثِّر ذلك ، وتجاوز الإنسان حدَّه وطغى وبغى أخذته بالقوَّة والشِّدة وعاملته بما يَردعه ويُعرِّفه سوء عمله .

ومَن تأمَّل سيرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسيرة خُلَفائه الرَّاشدين وصحابته المرضيين وأئمَّة الهدى بعدهم عرفَ صحَّة ما ذكرناه .

النُّصوص الآمرة باللِّين في مجاله :

ومما ورد في اللِّين قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] الآية ، وقوله تعالى في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] الآية .

النُّصوص الدَّالة على الشِّدَّة في مجالها :

وممَّا وردَ في الشِّدة الآيات المتقدِّم ذِكرُها[1]

ومن الأحاديث ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما ، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أنَّ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تلَى قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ – ٧٩]

---

١) وقد ذكرها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية هذا المقال ، وهي :

قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [التوبة : ٧٣]

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣]

وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فشَرَع اللهُ سبحانه لعباده المؤمنين الغلظة على الكفار والمنافقين حين لم تُؤثِّر فيهم الدَّعوة بالحكمة واللين .

قال : « والذي نفسي بيده ! لتأمُرُنَّ بالمعروف ، ولتنهَونَّ عن المُنكر ، ولتأخُذُنَّ على يَدِ السَّفيه » وفي لفظ آخر : « على يد الظَّالم ، ولتأطُرنَّه على الحقِّ أطرًا ، أو لتقصُرنَّه على الحقِّ قَصرًا ، أو ليضربنَّ اللهُ بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم »[١]

وفي الصَّحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لقد هممتُ أن آمر بالصَّلاة فتقام ، ثم آمرَ رجلًا فيُصلي بالناس ، ثم أنطلقُ برجال معهم حُزَم من حَطَبٍ إلى قوم لا يشهدون الصَّلاة ؛ فأحرِّق عليهم بيوتهم »[٢]
ورُوي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « لولا ما في البيوت من النِّساء والذُّريَّة لحرَّقتها عليهم »[٣]

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما بعثَ اللهُ مِنْ نبيٍّ في أمَّة قبلي إلَّا كانَ له من أمَّته حواريُّون وأصحاب يأخذون بسنته ويَهتدون بأمره ، ثم إنَّها تخلُفُ مِنْ بعدهم خُلُوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يُؤمَرون ؛ فمَنْ جاهدهم بيده فهو مُؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مُؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مُؤمن ، وليس وراء ذلك مِنَ الإيمان حبَّة خَرْدل »[٤]

---

١) أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٢٦٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٣٩) وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢٦٧) وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٩٨)

٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٢٤٢٠) ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٣) أخرجه أحمد في مسنده (٨٧٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٠) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقصَّةُ الثَّلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك من غير عُذْر معلومةٌ لدى أهل العلم ، وقد هجرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خمسين ليلة حتَّى تابوا ؛ فتاب الله عليهم ، وأنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة :١١٧- ١١٨] الآية[1] .

فممَّا تقدَّم من الآيات والأحاديث يعلم الكاتب وغيره من القرَّاء : أنَّ الشَّريعة الإسلامية الكاملة جاءت باللَّين في محلِّه ، والغِلْظة والشِّدَّة في مجالهما) أهـ[2]

وقال سماحتُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر بعد أن ذكر بعض النُّصوص الناهية عن الظنِّ السيء بالمسلم : (وهذا كُلُّه لا يمنع من نصيحة مَنْ أخطأ مِنْ أهل العلم أو الدعاة إلى الله في شيء من عمله أو دعوته أو سيرته ؛ بل يجبُ أن يوجَّه إلى الخير ، ويُرشَدَ إلى الحقِّ بأسلوب حسن ، لا باللَّمز وسوء الظَّن والأسلوب العنيف ... ! فإنَّ ذلك يُنفِّر من الحقِّ أكثر ممَّا يدعو إليه ، ولهذا قال عز وجل لرسولَيه موسى وهارون لما بعثهما إلى أكفر الخلق في زمانه : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤]

وأخبرَ اللهُ عن نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جَبَلَهُ عليه من الرِّفق والحكمة واللِّين واللُّطف في الدَّعوة فقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] الآية .

---

١) والقصة بطولها متفق عليها : أخرجها البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) عن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٢) مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/٢٠٥-٢٠٧)

وأمَرَهُ سبحانه أن يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة فقال عزّ وجلّ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥]

وهذا الأمرُ ليس خاصًّا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل هو موجَّهٌ إليه وإلى جميع علماء الأمَّة وإلى كل داع يدعو إلى حقٍّ ؛ لأنَّ أوامرَ الله سبحانه لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تخصُّهُ ؛ بل تعمُّ الأمَّة جميعًا ؛ إلَّا ما قام الدَّليلُ على أنه خاصٌّ به .

ولقول الله سبحانه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ [الأحزاب : ٢١] الآية .

ولقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

وصحَّ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « مَن يُحرم الرِّفقَ ، يُحرم الخيرَ كُلَّه »(١)

وقال ﷺ : « إنَّ الرِّفق لا يكون في شيء إلَّا زانه ، ولا يُنزعُ من شيء إلَّا شانه »(٢)

وقال أيضا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : « إنَّ الله يُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنف »(٣)

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٢) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دون قوله : « كله » إلا أنها زيادة صحيحة كما صححها الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠٦)

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

في أحاديث كثيرة تدلُّ على أنَّ الواجبَ على الدُّعاة إلى الله سبحانه والنَّاصحين لعباده أن يتخيَّروا الأساليب المُفيدة ، والعبارات التي ليس فيها عنف ولا تنفير من الحقِّ ، والتي يُرجى من ورائها انصياعُ مَنْ خالف الحقَّ إلى قَبوله ، والرِّضى به ، وإيثاره ، والرجوع عمَّا هو عليه من الباطل .. وأن لا يَسلُكَ في دعوته المسالك التي تُنفِّر من الحقِّ ويدعو إلى ردِّه وعدم قَبوله ﴾ أهـ[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر : ﴿ أمَّا أسلوبُ الدَّعوة : فبينه الربُّ جلَّ وعلا ، وهو الدَّعوة بالحكمة ، أي بالعلم والبصيرة ، بالرِّفق واللِّين لا بالشدة والغلظة .

هذا هو الأسلوب الشَّرعي في الدَّعوة ؛ إلَّا مَنْ ظَلَم ؛ فمن ظَلَم يُعامل بما يستحق ، لكن من يتقبَّل الدَّعوة ، ويُصغي إليها ، أو تَرجو أن يتقبَّلها لأنه لم يُعارضك ولم يظلمك .. فارفق به .

يقول جل وعلا في كتابه العظيم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥]

فالحكمة : هي العلم ، قال الله ، قال رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ .

والموعظة الحسنة : التَّرغيب والتَّرهيب ، تُبيِّن ما في طاعة الله من الخير العظيم ، وما في الدُّخول في الإسلام من الخير العظيم ، وما عليه إذا استكبر ولم يَقبل الحقَّ ... إلى غير ذلك .

---

١) مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧/٤٦٢-٤٦٤)

أمَّا الجدال بالَّتي هي أحسن : فمعناه بيانُ الأدلَّة من غير عُنف عند وجود الشُّبهة لإزالتها وكشفها ؛ فعند المُجادَلة تُجادل بالتي هي أحسن ، وتصبر وتتحمل كما في الآية الأخرى ، يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت : ٤٦]

فالظَّالمون لهم شأن آخر ، لكن ما دُمتَ تستطيعُ الجدال بالتي هي أحسن ، وهو يَتقبَّل أو يُنصت أو يتكلم بأمر لا يُعدُّ فيه ظالمًا ولا مُعتدِّيًا = فاصبر وتحمَّل بالموعظة والأدَّلة الشَّرعيَّة والجدال الحسن ، يقول الله سبحانه : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة : ٨٣]

وقولُ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : « البِرُّ حُسْنُ الخُلُق »[١]

وقد أثنى اللهُ على النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أمر الدَّعوة فقال جل وعلا : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

ونبيُّنا أكملُ النَّاس في دعوته ، وأكملُ النَّاس في إيمانه ، لو كان فظًّا غليظ القلب لانفضَّ الناسُ من حوله وتركوه ؛ فكيف أنت ؟!

فعليك أن تصبر ، وعليك أن تتحمَّل ، ولا تعجل بسبٍّ أو كلام سيئ أو غِلْظة ، وعليك باللِّين والرَّحمة والرِّفق ...

ولما بعثَ اللهُ موسى وهارون لفرعون ماذا قال لهما ، قال سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] فأنت كذلك ؛ لعل صاحبك يتذكر أو يخشى .

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٥٣) عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ .

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال : « اللَّهمَّ مَنْ وَلِيَ من أمر أمَّتي شيئًا فرَفِقَ بهم فارفق به ، اللَّهمَّ مَنْ وليَ من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه »[1] وهذا وعدٌ عظيم في الرِّفق ، ووعيد عظيم في المشقَّة .

ويقول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ : « مَن يُحرم الرِّفق = يُحرم الخير كُلَّه »[2]

ويقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : « عليكم بالرِّفق فإنَّه لا يكون في شيء إلَّا زانه ، ولا يُنزَع من شيء إلَّا شانه »[3]

فالواجبُ على الدَّاعي إلى الله أن يتحمَّل ، وأن يستعمل الأسلوب الحسن الرَّفيق اللَّين في دعوته للمُسلمين والكفَّار جميعًا ، لا بدَّ من الرِّفق مع المسلم ومع الكافر ، ومع الأمير وغيره ، ولا سيما الأمراء والرُّؤساء والأعيان ؛ فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرِّفق والأسلوب الحسن لعلهم يَقبلون الحقَّ ويُؤثرونه على ما سواه .

وهكذا من تأصَّلت في نفسه البدعة أو المعصية ، ومضى عليه فيها السِّنُون يحتاج إلى صبر حتى تُقتلَع البدعة ، وحتَّى تُزال بالأدلَّة ، وحتَّى يَتبَّين له شرُّ المعصية وعواقبها الوخيمة ؛ فيقبل منك الحقَّ ، ويَدَعَ المعصية) أهـ[4]

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٢٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا .

٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٢) عن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ (انظر صـ ٥٢)

٣) انظر تخريجه في الصفحة : (٥٢)

٤) مجموع فتاوى ورسائل العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُٱللَّهُ (٦/٤١٦-٤١٨)

وقال الشيخ محمد الموسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : (لسماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجٌ متميِّزٌ مع المخالفين ، ينطلقُ فيه من نصوص الشَّرع المطهَّر الآمرة بالصَّفح ، وأخذ العفو ، ودفع السيئة بالحسنة ، ومُقابلة الإساءة بالإحسان ، والبُعد عن كلِّ ما يُنافي العدل والإنصاف وشرف الخصومة .

فكان منهج سماحة الشيخ مع المخالفين له : أنه لا يُحمِّل كلامهم ما لا يحتمل ، ولا يتقوَّل عليهم ما لم يقولوه ، ولم يكن يذكُرُهم بسوء أو تجريح ؛ بل كان يحترمهم ويقدِّرهم ، ويتناسى أخطاءهم في حقِّه ، ويقبل عُذْر المُعتذر إليه منهم ، خصوصًا من لهم سابقة وفضل .

وإذا زاره أحد مِنْ مُخالفيه أظهر له الفرح والتَّسامح ومزيد العناية ، وأظهر له المحبة والحفاوة على سبيل دعوته ، وتطييب قلبه)[2]

وقد ذكر الشيخ محمد الموسى أمثلةً من سماحة الشيخ مع مُخالفيه وترفُّقه بهم رجاء هدايتهم ، أذكر منها موقفه مع مُحمَّد الغزالي :

---

١) وقد كان مدير مكتب سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ .

٢) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٧) لمحمد بن إبراهيم الحمد .

قال الشيخ الموسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « لما قَدِم الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرياض لاستلام جائزته المقدَّمة من لجنة جائزة الملك فيصل العالمية ، زار سماحة الشيخ في منزله ، وكانت في ذلك الوقت ضجَّة حول كتاب الشيخ الغزالي : « السنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » وقد قُرئ ذلك الكتاب على سماحة الشيخ

فلما زاره الغزالي احتفى به ، وأكرمه ولاطفه ، وسأله عن الدعوة في الجزائر ، وعن حاجتهم ، وأخبر بأنه على أتمِّ الاستعداد لدعمهم ، وكان الشيخ الغزالي آنذاك رئيسًا لجامعة في الجزائر.

وكان مجلس سماحته – كالعادة – عامرًا بالزَّائرين والسَّائلين والمُحتاجين والضُّيوف ، وكان الهاتف لا يتوقَّف رنينُه ، وكان كُتَّاب سماحته حوله يقرؤون ، وهكذا ... وكلَّما سَنحت لسماحته فرصة التفتَ إلى الشيخ الغزالي وحيَّاه ولاطفه ؛ فأُعجب الغزالي بما رأى ، وكان ذلك باديًا عليه ، وفي تلك الأثناء قال سماحته للشيخ الغزالي : لقد قرأتُ كتابكم المذكور ، ولا يخفى عليكم أن البشر عُرضة للخطأ ، ونحن وغيرنا عُرضة لذلك ، وقد قرأتُ شيئًا من كتابكم ، وعليه بعض الملحوظات .
فقال الشيخ الغزالي : أنا يُسعدني أن تُكملوا قراءته ، وأن تُوافوني بما تُلاحظونه ، وأنا – إن شاء الله – أُصلحه ، وذكر كلامًا نحو هذا .

وبينما كان سماحة الشيخ يردُّ على مكالمة هاتفية دار حديث بين الشيخ الغزالي وبين أحد المشايخ الحاضرين وهو الشيخ خير الدِّين وانلي من سوريا ؛ فقال الشيخ خير الدِّين : أنتم قلتم كذا وكذا ، فانقضَّ الغزالي عليه ، واشتدَّ النقاش ، ولما سمع سماحته كلامهما التفت إلى الغزالي وقال : ماذا عندكم ؟ قال : كذا وكذا ؛ فخاطبهما جميعًا بأن هذه المسائل ينبغي أن تُوضع في إطارها ، وأن نحرص كل الحرص على جمع كلمتنا ، والبُعد عن الخلاف ؛ فنحنُ أمام أمور كبار تتعلَّق بأصول المسائل ... وسكَّن من غضبهما ، وانتهى الجدال .

وكان الشيخ الغزالي مدعوًّا للغداء ، ولكنه تأخَّر على من دعاه ، وجلس عند سماحة الشيخ وتناول معه الغداء .

ولما همَّ بالخروج ألقى نظرة على سماحة الشيخ وقال : نحن بخير ما دام فينا هذا الرجل .

وبلغني أنه لمَّا وصل إلى مَنْ دعاه قالوا له : لماذا تأخَّرت ؟ قال : كُنَّا في عالم ثانٍ !)[1]

وللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواقف كثيرة يصعُبُ حصرُها.

---

١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٠)

وسُئل شيخنا الإمام العلامة الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله : أحسنَ اللهُ إليكم : هل من كلمة مباركة توجِّهونها لأبنائكم وإخوانكم من طلاب العلم في الأمة الإسلامية جمعاء ؟ فأجابَ فضيلته بقوله : « أوصيكم بتقوى الله ، ومواصلة طلب العلم ، والحرص على ذلك ، والعمل بما علَّمكم اللهُ ، والدَّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وتعليم الناس مما تعلَّمتم ، وترك التَّشاحن الحاصل بين طلبة العلم ، والسِّباب والتَّحريش بينهم حتَّى فرَّقوا الأمَّة ، وفرَّقوا طلبة العلم (احذروا مِن فلان ، لا تجلسوا مع فلان ، لا تقرأوا على فلان ...) هذا لا يجوز ، إذا كان فلان عنده خطأ تُناصحه بينك وبينه ؛ أما أنك تنشر هذا بين الناس ، وتُحذِّر منه ، وهو عالِم ، أو طالب عِلْم ، أو رجلٌ صالحٌ ... لكن أخطأ ؛ فلا يجوزُ هذا النَّشر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩]

الواجبُ التَّناصح بين المُسلمين ، الواجبُ المودَّة بين المسلمين ، ولا سيَّما طلبة العِلْم ، لا سيَّما مع العُلماء ؛ فإنَّه يجبُ احترامُ العلماء ، وعدم النَّيل من بعضهم ، والتَّحذير من بعضهم ... هذا سبَّب أشرارًا كثيرة ، وسبَّب تشاحنًا وتباغضًا ، وسبَّب فتنة ..

تجنَّبوا هذه الأمور -جزاكم الله خيرًا - وكونوا كما أراد الله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥]

احرصوا على التَّآلف ، احرصوا على التَّناصح بينكم ، احرصوا على التَّعاون على البرِّ والتَّقوى ، واحذروا ما يُفرِّق بين المسلمين ، خصوصًا في هذا الزَّمان .

المسلمون الآن بحاجة إلى الاجتماع ، بحاجة إلى قطع النِّزاع بينهم ، بحاجة إلى التَّعاون على البرِّ والتَّقوى ، لا تكونوا عونًا للعدوِّ على تشتيت المُسلمين ، وتفريق المُسلمين .

إذا حصلت الفُرقة بين العلماء وطلبة العلم من يبقى للأمَّة ؟!

ليس على العوامِّ عتبٌ ؛ إنَّما العتبُ على طُلاب العلم ؛ فإنَّ واجبهم أن يُعلِّموا الناس ، وأن يُصلحوا بينهم ؛ فاتركوا هذه الأمور ، وهذه التَّشاحنات ، وهذه المُهاترات ، وهذه الخِصَل الذَّميمة .

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات : ١٢]

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم : ١٠-١٢]

لا تطيعوا هؤلاء ، ولا تكونوا عونًا للشَّيطان على تفريق الأمة ، وعلى إضعاف الأمة ، من وجدتُّم عليه خللًا فناصحوه ، إذا ثبت هذا ، لا تُصدِّقوا الشَّائعات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء : ٩٤]

اللهُ جلَّ وعلا حثَّ على اجتماع المُسلمين ، وعلى وُحدة كلمة المُسلمين ، وعلى التَّعاون ، وعلى التَّناصح ... لا نقولُ اتركوا الخطأ ! بل أصلحوا الخطأ بالطُّرق الشَّرعية .

وفَّق اللهُ الجميع لما يُحبُّ ويرضى ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين »[1]

---

١) ختام شرح كتاب الصيام من كتاب دليل الطالب (٢٤ شعبان ١٤٣٤) بتصرف يسير .

وسئل معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه الله :
ما موقف المُسلم من أخطاء بعض الدُّعاة ؟
فأجابَ وفَّقهُ اللهُ :

الأحسن أن يُترك هذا الأمر لأهل العلم ؛ لأن تناول الشَّباب فيما بينهم مثل هذه المسائل يُوقع بينهم إشكالات ، صحيح إن التَّحصين والتَّحذير من الأخطاء مطلوب ، لكن لا يكون شُغلنا الشاغل الردُّ على أخطاء فلان وفلان ! فليست هذه من سمةِ أهل العلم ، ولذلك يقول ابن القيم في « مدارج السالكين » بما معناه : (القلبُ في مسيره إلى الله مثل الذي يمضي في طريق مليء بالوحوش والحصى وبأشياء يخافها من هنا وهناك ، فإذا مضى ولم يلتفت وصل ، وإذا التفت كل حين ورمى كل ما رآه بحجر فلن يَصِل) لهذا تجد في سيرة أهل العلم أن حجم بيانهم للدِّين أضعاف أضعاف أضعاف حجم الردود ، ولو قِسْت أي عالم من العُلماء كم بيَّنَ من الدِّين ، لرأيت مثلا أنه كتب ألفي صفحة ، وسجَّل ألفي شريط ، ثم قارنته بحجم ردِّه على المخالفين ؛ فستجد أنه شيء قليل من ذلك ، نعم يجبُ أن تَردَّ ولكن لا يكون هو شُغلك الشاغل ؛ لأنه لا بدَّ من نشر الدَّعوة ، ولا بُدَّ من بيانها .

ثمَّ مِنَ الناس من يُعالَج بنصيحة شخصية ، ومنهم من يُعالَج ببيانٍ وردٍّ علميٍّ ، والأصلُ في ذلك : قاعدةُ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بحسب الحال)[1]

١) نقلا عن جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ : (١٩ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ)

وقال الشيخ العلَّامة عبد المُحسن العبَّاد البَدر حفظه الله : (ولا شكَّ أنَّ الواجبَ على أهل السنَّة في كلِّ زمان ومكان التَّآلفُ والتَّراحم فيما بينهم ، والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى ... وإنَّ مِمَّا يُؤسَف له في هذا الزَّمان ما حصلَ مِنْ بعض أهل السُّنَّة من وحشة واختلاف ، مِمَّا ترتَّب عليه انشغالُ بعضهم ببعض تجريحًا وتحذيرًا وهجرًا ...

وكان الواجبُ أن تكون جهودُهم جميعًا موجَّهةً إلى غيرهم من الكفَّار وأهل البدع المُناوئين لأهل السُّنَّة ، وأن يكونوا فيما بينهم مُتآلفين مُتراحمين ، يذكِّرُ بعضهم بعضًا برِفق ولين)[1]

١) رفقا أهل السنة بأهل السنة (١٠-١١)

وقال شيخنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله : (وأنا أقولها من قبل اليوم ، لكن ركَّزتُ عليها لمَّا رأيتُ هذا الدَّمار ، ورأيتُ هذا البلاء .. أقول : عليكم بالرفق ، عليكم باللِّين ، عليكم بالتَّآخي ، عليكم بالتَّراحم .. هذه الشدة توجَّهت إلى أهل السنة أنفسهم ؛ إذ تركوا أهل البدع ، واتَّجهوا إلى أهل السُّنة بهذه الشِّدة المُهلكة ، وتخلَّلها ظُلم وأحكام باطلة ظالمة ، فإيَّاكم ثمَّ إيَّاكم أن تسلُكوا هذا المسلك الذي يُهلككم ، ويُهلك الدَّعوة السَّلَفية ، ويُهلك أهلها)[1]

وقال – حفظه اللهُ – في موضع آخر : (الذي يُقصِّر ما نُسقطه أو نُهلكه ، والذي يُخطئ منَّا ما نُهلكه ؛ ولكن نُعالجه باللُّطف والحكمة ، ونُوجِّه له المحبَّة والمودَّة وسائر الأخلاق الصالحة ، مع الدعوة الصحيحة ، حتَّى يؤوب ، وإن بقي فيه ضعف لا نستعجل عليه ، وإلَّا والله ما يبقى أحد ، ما يبقى أحد !

فبعض الناس الآن يُطاردون السلفيين ، حتَّى وصلوا إلى العلماء وسمُّوهم مُميِّعين ! والآن ما بقي في السَّاحة عالم – تقريبًا – إلَّا وطُعنَ به وفيه ، وهذه – طبعًا – هي طريقة الإخوان المسلمين ، وطريقة أهل البدع ؛ فإن أهل البدع مِنْ أسلحتهم أن يبدأوا بإسقاط العلماء ؛ بل هي طريقة يهودية ماسونية : إذا أردت إسقاط فكرة ؛ فأسقط عُلماءها أو شخصيَّاتها !

فابتعدوا عن هذا الميراث الرديء ، واحترموا العلماء)[2]

---

١) مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع – طبعة دار الإمام أحمد (١/ ٤٧٥)

٢) مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع (١/ ٤٨١-٤٨٢)

وقال - حفظه الله - في موضع آخر : ‹ وأنا أعرف أنكم لستم معصومين ، وليس العلماء بمعصومين - قد نُخطئ - اللَّهم إلَّا إذا دخل في رفض أو في اعتزال ، أو في تجهُّم ، أو في تحزُّب من الحزبيات الموجودة ؛ فإن هذا هو المنبوذ ، أمَّا السَّلَفيُّ الذي يُوالي السَّلَفيين ، ويُحبُّ المنهج السَّلَفي ، ويكرهُ الأحزاب ، ويكره البدع وأهلها .. وغير ذلك من علامات المنهج السلفي ، ثمَّ يضعف في بعض النِّقاط ؛ فإن هذا نترفَّق به وما نتركه ؛ ولكن ننصحه وننتشله ونصبر عليه ونعالجه ، أمَّا أن يُقال : مَنْ أخطأ هلك ! فعلى هذا لن يَبقى أحد ! ولهذا ترى هؤلاء لمَّا فرغوا من الشَّباب بدأوا بالعلماء يُسقطونهم ›[1]

وقال - وفَّقه الله - في موضع آخر : ‹ كلُّ مَن وقع في البدعة لا يُبدَّع ، لأن لو أخذنا بهذه القاعدة ؛ لبدَّعنا أكثرَ أئمَّة الإسلام ! فيقولُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « إنه كثيرٌ من أئمة السلف والخلف ، وقع في البدعة من حيث لا يشعر ، إما لأنه اعتمد حديثًا ضعيفًا ، أو فهم من النصِّ غير مُراد الله ومراد رسوله ، أو لاجتهاد »

فالآن عندنا أئمة مُجتهدون ، وقد يؤديه اجتهاده إلى خطأ أو بدعة ؛ فإذا عرفنا سلامة المنهج ، وسلامة القصد ، والبعد عن الهوى ، وتحرِّي الحقَّ ، إذا عُرف هذا عنه ، ثم وقع في بدعة ؛ لا يُبدَّع ، لكن إذا عرفنا منه الهوى ، وعرفنا منه سوء القَصد ، وعرفنا منه أشياء تدلُّ على أنه يُريد البدعة ؛ هذا يُبدَّع ، لهذا تجدهم ، يعني حكموا على كثير من الناس بأنهم مبتدعة ، وكثير من الناس وقعوا في أخطاء ، ما سمُّوهم مُبتدعة ؛ لأنهم عرفوا سلامة قصدهم ، وحُسْنَ نواياهم وتحرِّيهم للحقِّ ، وسلامة المنهج الذي يسيرونَ عليه ›[2]

---

١) مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع (١/ ٤٨٢-٤٨٣)

٢) شريط بعنوان : ‹ جلسة في الخرج ›

وقال أخونا فضيلة الشيخ عُبيد بن عبد الله الجابري حفظه الله : « وهكذا أهل السنة ؛ فإنهم ينظرون إلى المُخالَفة وإلى المُخالِف ؛ فالمخالَفة لا تخلو من حالين :

* إما أن تكون مُخالَفة في أمر لا يَسوغُ فيه الاجتهاد ، سواءٌ كان في أصول الدِّين أو في فروعه ، لأنَّه تَضافرت عليها النصوص من القرآن والسُّنة وأجمع عليها الأئمة ، أو كانت في حكم الإجماع ، وكان المخالف ليس عنده من النصوص ما يُقوِّي مذهبه .

* وإما أن تكون المخالفة حَدَثت في أمر يَسوغُ فيه الاجتهاد ، أو أمر فيه النُّصوص تحتمل وتحتمل ؛ فالصنفُ الأول ، وهو الذي لا يسوغُ فيه الاجتهاد ؛ فإنَّ الخلافَ فيه غير سائغ ، غيرُ سائغ أبدًا ، ويُردُّ الخطأُ على قائله كائنا مَن كان .

ثم هذا المخالف لا يخلو عن واحد من رجلين :

* إما أن يكونَ صاحب سُنة ، عَرف الناسُ منه الاستقامة عليها ، والذب عنها وعن أهلها ، كما عَرفوا النُّصح للأمة ؛ فهذا لا يُتابع على زلته ، وتُحفظ كرامته ، وإن كنَّا رددنا مُخالفته ؛ فإنَّا نتأدَّبُ معه ، ونحفظ كرامته ، ولا نُشنِّع عليه كما نُشنِّع على المبتدعة الضُّلَّال ، وذلك رِعاية لما منَّ الله به عليه من السَّابقة في الفضل والجلالة في القَدْر ، والإمامة في الدِّين ؛ فنحنُ نَرعى هذا كله ، وإذا نظرتَ في كثير من الأئمة الذين هم على السنة ، يَشهد لهم النَّاسُ في محياهم ، وكذلك نرجو أن يكونون بعد مماتهم إن شاء الله تعالى حدثتْ منهم أخطاء ، زلَّت بهم القدم ؛ فردَّ عليهم المعاصرون لهم واللاحقون لهم ، مع حفظ كرامتهم ، وصيانة أعراضهم ، وعدم التَّطاول عليهم بنابيات العبارات »[1]

---

١) شريط بعنوان : « ضوابط التعامل مع أهل السنة وأهل الباطل » (الشريط الأول – السؤال الأول)

وقال أخونا فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سليمان بن سليم الله الرُّحيلي حفظه الله :
« لا شكَّ أنَّ العلمَ إنَّما يُؤخذُ عن الأكابر ، وأنَّه لا بُدَّ مِن التَّزكية ، لكن مَن هم الأكابر؟ الأكابر : مَن كبَّرهم علمُهم ، وعُرِفُوا بالعلم ، ولو صَغُرَ سِنُّهُم ، ولو كانُوا شبابًا ، فهُناك أكابر مِن الصَّحابةِ صِغارٌ في السِّنِّ أُخِذَ عنهُم العلم ، وأنَارَ علمُهم الدُّنيا .
فهذه قضيَّةٌ مِن الأهميَّةِ بمكان ، وهي أنَّ الصَّغيرَ قد يُكبِّرُهُ علمُهُ ، فيُعرفُ بالعلمِ المَتِين النَّافع ، وهذا كثيرٌ في السَّلف بَدءًا مِن الصَّحابة رِضوان اللهِ عليهم إلى ما بعدَ الأئمَّة ، ولا بُدَّ مِن التَّزكيةِ ؛ فإنَّ العلمَ دِينٌ ؛ فينبغي أنْ ننظُرَ عمَّن نأخُذَ دينَنا ، لكن كيف تكون التَّزكية ؟ التَّزكيةُ تكُونُ بثلاثةِ أُمورٍ :

الأمر الأوَّل : نَصُّ العُلماء المُعتبَرين على تزكيته ، أنْ ينُصَّ العُلماء أو بعضُهم ، ولا نحْصُر التَّزكيةَ في عالمٍ ولا عالِمَيْن ولا ثلاثة ؛ بل أنْ ينُصَّ عالمٌ مِن العُلماء المُعتبَرِين ، أو جمْعٌ مِنهم على أنَّ فُلانًا مُزكَّى ، ويصلُحَ لأنْ يُؤخذَ عنه العلمَ .

الأمر الثَّاني : أنْ يشتهِرَ بالتَّعليم مِن غيرِ أنْ يُنكَرَ عليه مِن أهلِ العلم ، يُعرف بأنَّه مُدرِّسٌ ، ويَشْتهِر هذا عنه ، ولا يُنكِرُ أهلُ العلمِ المُعتبَرُون تدرِيسَهُ ؛ فهذه تزكيةٌ سُكُوتيَّةٌ ، إذْ لا يلِيق بمَقامِ العُلماء أنْ يكُون هذا مِمَّن يُنهى عن الدَّرس عليه ولا يَنهون .

والأمر الثَّالث : وهذا مِن الأهميَّةِ بمكان أنْ يُزكِّيَهُ عِلمُهُ ؛ فلا يُعلِّمُ إلَّا السُّنَّة ، أعني ما يكُونُ فيه الحقِّ ، ولا يأخُذُ إلَّا عن عُلماء السُّنَّة ، ويُقرِّر كُتب عُلماء السُّنَّة ، ولم يُؤخذْ عليه ردٌّ لكلام العُلماء المُعتبَرِين ، ولا مُخالَفاتٌ للسُّنَّة ؛ فهذا يُزكِّيهِ علمُهُ .

وليس كُلُّ طالب علمٍ نافعٍ يعرِفُهُ العُلماء ، ولكن يُنظَرُ في علمِهِ الَّذي يبُثُّهُ ، هل يُعلِّم السُّنَّة ؟ هل يحترِمُ آراء عُلماء السُّنَّة ؟ هل ينقُلُ كلام عُلماء السُّنَّة ؟ فإنْ كان ذلك كذلك ؛ فقد زكَّاهُ عِلمُهُ ، ويُؤخذُ عنه العلم .

والقولُ بأنَّه لا يُؤخذ العلم إلاَّ عمَّن زكَّاهُ العُلماء نصًّا : يسُدُّ بابَ الخيرَ .

كثيرٌ مِن البُلدان فيها طُلَّاب علمٍ ، يُعلِّمُون السُّنَّةَ ، وشُرُوح أهلِ السُّنَّة ، ويُعلِّمُون بحسَب ما تعلَّمُوا ، ولكنَّهم لا يحمِلُون تزكيةً مِن عالمٍ مُعيَّن ، لكن لمْ يُعرفْ عليهم ما يجْرحُهم في علمِهم ؛ فإذا قُلْنا إنَّه لا يُؤخذُ العلم عنهم ؛ لنْ يبقى علمٌ في كثيرٍ مِن البُلدان ، وسيُسَدُّ بابُ الخير ، ويقُوم أهلُ البدع ويُدرِّسُون ، وأهلُ السُّنَّة يكُفُّون ، ويُصبح أهلُ السُّنَّة يتعلَّمُون مِن أهلِ البدع أو يتعلَّمون مِن « الأنترنِت » أو غيرِه ؛ وهذا لا يصِحُّ ولا يستَقِيمُ .

إذًا نحنُ نقول : لا بُدَّ مِن التَّزكية ، ولا يصِحُّ أنْ نتساهل ، فنأخُذ العلمَ عن كُلِّ أحدٍ ، لكن كيف تكُون التَّزكية ؟

- إمَّا بنَصٍّ مِن عالم ، أو عدَدٍ مِن العُلماء المُعتبَرين المعرُوفِين بالسُّنَّة .
- وإمَّا باستِفاضةٍ وشُهرة مِن غيرِ نكيرٍ مِن العُلماء .
- وإمَّا بعلمٍ صحيح سليمٍ خالٍ مِمَّا يَجرح ، يُعرفُ به طالبُ العلم الَّذي يُعلِّمُ .

ثُمَّ لا شكَّ أنَّ الواجبَ على كُلِّ أحدٍ أنْ ينتهيَ إلى ما علِمَ ، وأنْ لا يزيدَ على ما علِمَ ، حيثُ انتهى علمُهُ يُعلِّم النَّاس .

كثيرٌ مِن بُلدان المُسلِمين بحاجةٍ لِمَن يُعلِّمُهم الأُصول ؛ فمَن عَرف هذه الأُصول عن أهلِ السُّنَّة وضبطَهَا ؛ فإنَّه يُعلِّمُ النَّاس ، لكن ما يُصبح شيخَ الإسلام ابن تيميَّة !
يعني بعضُ طُلاَّب العلم قد يأخذ كتابًا أو كتابيْن ، ثُمَّ بعد ذلك يذهب يُدرِّس ؛ فينْتفِخ، ويرُدُّ على بعضِ العُلماء الأكابر ، ويُفتي في كُلِّ شيءٍ ، ويتكلَّم بكُلِّ شيء ..!
لا شكَّ أنَّ هذا ضلالٌ .
ولكن المُحسِن : هو الَّذي ينتهي إلى ما علِمَ ، وينشُرُ الخيرَ والسُّنَّة .

ولا يجُوز لنا أنْ نقِفَ عائقًا في وجه نشرِ الخيرِ والسُّنَّة ، وهذا هو الَّذي أدرَكْنا عليه صَنِيع العُلماء كالشَّيخِ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والشَّيخ ابن عُثيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعامُلِهم مع طُلاَّب العلم .

أمَّا مَن عُرِفَ بجرْحٍ ، أو كان في علمِه خَلْطٌ ، أو كان مجهُولًا مِن كُلِّ وجهٍ ؛ فمِثلُ هذا لا ينبغي أخذُ العلم عنه ، واللهُ أعلم [(١)]

١) وكان ذلك جوابا على سؤال وُجِّه للشيخ حفظه الله في دورة فقه المعاملات المالية والتي أقيمت في مسجد السلف الصالح في مدينة الشارقة في دولة الإمارات في شوال عام ١٤٣٤ هـ .

وسئل أخونا الشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد بن عمر بازمول وفقه الله :

اليوم أصبحتْ هناك شُبهة خطيرة تدور بين السَّلَفيين ، يقولون : (كلما وثِقْنا في شيخ سلفي مُزكَّى من العلماء لأجل ثقتنا بعلمه لا لتعلُّقنا بشخصه يَسقط فجأة ، ولا نعلم ما السبب حتَّى نحتاطَ مِنْ أخطائه ، ومكتباتنا الشخصية في المنازل ، كلما ملأناها بكلام المشايخ أفرغناها مرة أخرى) فكيف يكون الرد على هذه الشبهة التي قد تُصبح كالعدوى ، حتى تهتك بالسلفيين ، ويتسلط عليهم الشيطان ؟ وما نصيحتكم لأبنائك السلفيين ؟

فأجاب حفظه الله : (هذا الواقع الذي وصفه السائل موجود ، وأشعر به ، ولعل ممَّا يُحقِّق مُراد السائلِ ويُوضِّحُ الأمرَ ذِكْر ما يلي :

أولًا : ليس معنى السَّلَفية والانتسابَ إليها أن لا يقع السَّلَفيُّ في أخطاء ، سَواءً كان طالبَ عِلْم صغير ، أم كان عالما كبيرًا ، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « كلُّ ابن آدم خطَّاء ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوابون »[1]

ثانيًا : ليسَ كلُّ خطأ يُعامل صاحبُهُ مُعاملةَ أهل البدع ، وهذه قضيَّة هامَّة جدًّا ، ومحلَّ فَرْقٍ بينَ السلفيين والمُتشدِّدة في هذا الباب ، ومنهم الحدَّادية ؛ فإنَّه ممَّا يُنكر عليهم : عدم التَّفريق بين الخطأ يقعُ فيه السلفيُّ والخطأ يقع فيه صاحب البدع والهوى ، ويُعاملونهما مُعاملة واحدة عندهم ! فإنَّ صاحبَ السُّنة يُناصَحُ ويُوجَّه ، والظنُّ فيه قَبول الحقِّ والرجوع إليه ، وهذا ليسَ ضعفًا و لا خَوارًا ؛ بل هو شجاعة أدبية يَدينُ المسلم بها نفسه لربِّه ، فإنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع .

---

١) انظر تخريجه في الصفحة : (٢٥)

ثالثًا : ليسَ معنى السلفية أنْ لا يَحصل اختلاف بين السلفيين في مسائل العِلْم الاجتهادية ، وهذا أمرٌ واقعُ الصَّحابة يدلُّ عليه ، وليسَ معنى كون السلفي يتَّبع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح أنْ لا يقع اختلاف في المسائل الاجتهادية ، وهؤلاء الأئمَّة الأربعة من أئمة أتباع السلف الصَّالح ، حصل بينهم من الاختلاف في مسائل العلم الاجتهادية ما هو معلوم ومعروف .

رابعًا : ليس معنى السلفية أنْ لا يقع السلفي في أمراض القُلوب مِنَ الشهوات الخفية ، كمحبة الظُّهور والتَّعنُّت معَ إخوانه .
والحال أن المسلم مرآةُ أخيه المسلم ؛ فيُناصح ويُوجِّه ، واللهُ المُستعان .

خامسًا : ليس من منهج السلف الصالح الإلزام باتباع قول أحد ، إلَّا رسولَ الله ﷺ خاصَّة في المسائل الاجتهادية .

سادسًا : قد يتكلَّم عالم سلفيٌّ في آخر سلفي ، ويستطيلُ عليه بسبب قُصور ما ، ولا يعني ذلك إسقاطه ، والموقف من ذلك هو إحسانُ الظنِّ ؛ فنعتقدُ أن كلام ذلك العالم نتيجة اجتهاد رآه ، هو فيه بين أجرين إن أصاب ، وأجر إن أخطأ .

سابعًا : إذا تكلَّم أحدٌ في من عُرفت عدالتُهُ وثِقَتُه : لا يُقبل القولُ فيه إلَّا ببيان السَّبب ، وتفسير الجرح ؛ فلا يُعامل مُعاملة من هو مُتكلم فيه أصلًا ، أو مُعاملة مَنْ لا تُعرف ثِقته وعدالته .

ثامنًا : إحسانُ الظنِّ مُقدَّم ؛ فلا تظننَّ بأخيك المسلم سوءًا وأنت ترى له في الخير مَحملًا

تاسعًا : لا تقديسَ للأشخاص ، والسائلُ جزاهُ اللهُ خيرًا تنبَّه لهذا في قوله :
(لا لتعلُّقنا بشخصه)

عاشرًا : ما كلُّ أحدٍ تُكلِّم فيه يسقط ، وما كلُّ كلام في أحدٍ يُعدُّ جَرحًا .

الحادي عشر : ليسَ من السلفية الإلحاحُ على حصول التَّزكيات من العلماء ، والسعي وراءها ؛ فالمسلمُ يُزكيِّه عِلْمه وعَمَلُه قبل كلِّ شيء ؛ فالأرضُ لا تُقدِّسُ أحدًا ، والنَّسبُ لا يُقدِّسُ أحدًا ، و الكلامُ في جرح الناس لا يُقدِّسُ أحدًا .

الثاني عشر : ليسَ مِنَ السَّلَفية الفرحُ بعيبِ النَّاسِ وتجريحهم ، والسَّعي فيه لغير حاجة ، وعلى طالب العلم تجنب الخوض فيه ، وتركُ الأمر بيد أهل العلم ؛ فلا يتسببَّ في إشعال الفتنة ، وقدح أُوَارِهَا ؛ بل يُخمدُ الفِتنة باعتزاله نارها ، بالصَّبر والظَّنِّ الحسن ، وأنْ يُوكل الأمر لأهل العِلْم ، والله الموفق)[1]

١) نقلًا عن صفحة الشيخ الرسمية على موقع التواصل (فيسبوك) بتاريخ : (١٦/محرم/١٤٣٦هـ)

وبعد هذه النُّقول الحكيمة المُباركة ؛ المبنيَّة على منهج السَّلَف عن أهل العلم هؤلاء أقول :

إنَّ صِيانة دِين الإسلام ببيان ما نُسب إليه من البدع والمُحدثات .. لَمن أعظم العبادات التي يَتقرَّبُ بها العبدُ إلى ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؛ فإنَّه أولى الجهادَين ، والجهادُ الذي لا ينقطع حتَّى قيام الساعة ، وهو جهاد الخاصَّة مِنْ أولياء الله من رسله وأتباعهم .

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فالرَّادُّ على أهل البدع : مُجاهدٌ ، حتَّى كان يَحيى بن يَحيى يقول : الذبُّ عن السُّنة أفضلُ من الجهاد »[1]

ولكنَّ الكلام في أعيان المخطئين (وبخاصَّة مَن كان منهم مُنتسبًا إلى السُّنة وأهلها) لا يُحسنُهُ كلُّ أحدٍ ؛ بل لا بدَّ أن يقتصِرَ على مَن عُرف بالعِلْم والتَّقوى .

قال الإمام الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « والكلامُ في الرِّجال لا يجوز إلَّا : لتامِّ المعرفة ، تامِّ الوَرَع »[2]

ودونكم بعض الضَّوابط التي أشرتُ إليها آنفًا :

---

١) مجموع الفتاوى (١٣/٤)

٢) ميزان الاعتدال (٤٦/٣)

❖ الخطأ يُنكر مُطلقا وأمَّا الإنكارُ على المخطئ فيختلف باختلاف حاله

فالحاكم المسلم – مثلا – لا تُذكر أخطاؤه أمام العامَّة والدَّهماء وعلى المنابر ، وإنَّما يذهب إليه ويُنكر عليه بحضرته ، أو يكاتبه ويناصحه سِرًّا فيما بينه وبينه ، أو يكتفي بإنكار الخطأ دون ذكر اسمه .

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَن أرادَ أن ينصحَ لذي سُلطان في أمر : فلا يُبده علانية ، ولكنْ : ليأخُذ بيده ؛ فيخلوا به ؛ فإن قَبِلَ منه فذاك ، وإلَّا كان قد أدَّى الذي عليه له »[1]

فإن الخطأ والزَّلل لا بدَّ من بيانه للناس ، وتحذيرهم من الوقوع فيه بالطُّرُق الشَّرعية ، وأمَّا المُخطئ إن كان من أهل العلم المعروفين بالخير والصلاح ... فإن الواجبَ الأخذُ بيده ونصحه سِرًّا ، وحفظ كرامته ومكانته أمام النَّاس ، والدُّعاء له بالخير والهداية والصلاح .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ ومن عُلِم منه الاجتهاد السائغ : فلا يجوز أن يُذكَر على وجه الذَّم والتَّأثيم له ؛ فإنَّ الله غفر له خطأه ؛ بل تَجبُ – لما فيه من الإيمان والتقوى – مُوالاته ومحبته والقيام بما أوجبَ اللهُ من حقوقه ، من ثناء ودعاء وغير ذلك ›[2]

١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٢٦٩) و الطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٧) والبيهقي في سننه (١٦٦٦٠) عن عياض بن غنم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٠٩٧) .

٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٤)

ويتأكَّد هذا الأمر كلَّما كان المُخطئ أقرب إلى العلماء مَنزلةً .

قال الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (إن الكبير من أئمة العلم : إذا كثر صوابه ، وعُلم تحرِّيه للحقِّ ، واتَّسع عِلْمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرف صلاحُه وورعه واتِّباعه : يُغفر له زلله ، ولا نُضلِّله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التَّوبة من ذلك)[1]

ولا يُقبَلُ قدْحُ من قَدَحَ فيه ؛ بل ولا يُلتفَتُ إليه إلَّا ببيِّنة ودليل واضح جليٍّ ، كالشَّمس في رائعة النَّهار .

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (مَن صحَّتْ عدالته ، وثبتت في العلم إمامته ، وبانت ثقته ، وبالعلم عنايته : لم يُلتفت فيه إلى قول أحد ؛ إلَّا أن يأتي في جَرحته ببيِّنة عادلة ، يصحُّ بها جَرحتُهُ على طريق الشهادات ، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك ، بما يُوجب تصديقه فيما قاله ؛ لبراءته من الغلِّ والحسد والعداوة والمنافسة ، وسلامته من ذلك كلِّه)[2]

---

١) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧١)

٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٠٩٣)

وقال – أيضًا – رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « إنَّ السَّلَف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد سبق مِنْ بعضهم في بعض كلام كثير ، منه في حال الغضب ، ومنه ما حَمل عليه الحسد (كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم) ومنه على جهة التَّأويل مما لا يَلزَمُ المقولَ فيه ما قالَهُ القائل فيه ، وقد حملَ بعضهم على بعض بالسَّيف تأويلًا واجتهادًا لا يلزمُ تقليدُهم في شيء منه دون بُرهان وحُجَّة تُوجبه »[1]

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ « يُعلم صِدق الشخص : تارة باختباره ومباشرته ، وتارة باستفاضة صِدقه بين الناس ، ولهذا قال العلماء : إن التعديلَ لا يحتاجُ إلى بيان السَّبب ؛ فإنَّ كونَ الشخص عدلًا صادقًا لا يَكذِبُ لا يتبيَّنُ بذكر شيء مُعيَّن ، بخلاف الجرح ؛ فإنه لا يُقبل إلَّا مُفسَّرًا عند جمهور العلماء »[2]

❀ ❀ ❀

١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٠٩٣)

٢) العقيدة الأصفهانية (٢٠٠)

❖ تفريق السَّلَف الصَّالح في التَّعامل مع أهل البدع بحسب اختلاف القوة والضعف

فإذا قويت السنة وظهرت ؛ فإنَّهم يُعاقبون أهل المعاصي والبدع على قدْر معصيتهم وبدعتهم بما يَزجرهم ، ويَزجر الناس عن فِعلهم ، كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع الثلاثة الذين خُلِّفوا ، قبل أن تنزل توبتهم من عند الله ، وكما فعل الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مع صَبَيغ ، وعلى مثل هذا سار أئمة الإسلام

وأما إن ضَعُفت السنة وصار أهلها كالغرباء (كما هو الحال في عامة بلاد الإسلام اليوم فضلا عن غربة أهل الإسلام في بلاد الكفر) فإنهم يُراعون المصلحة الشَّرعية في ذلك

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ بعد أن ذكر أن الهجرة تكونُ تارة نوعًا من التقوى وتارة من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعَي الهجرتين : بين القادر والعاجز ، وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته وقوته وضعفه »[١]

وسئل الإمام أحمد عمَّن قال القرآن مخلوق ؟ فقال رَحِمَهُٱللَّهُ : « ألحق به كل بلية ؛ فقيل : فيظهر العداوة لهم أم يُداريهم ؟ فقال : أهل خراسان لا يَقوَونَ بهم »[٢]

---

١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١١)

٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٠)

❖ ويُقدِّمون المصلحة الشَّرعية في هجر المبتدع

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن ضوابط هجر المبتدع : « فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد ؛ بل بُطلان كثير من الحسنات المأمور بها = لم تكن هِجرةً مأمورًا بها ، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان ؛ إذ ذاك : أنهم لم يكونوا يَقوَونَ بالجهمية ؛ فإذا عجَزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مُداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي »[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وكذلك لما كَثُر القدَرُ في أهل البصرة ؛ فلو تُرِك روايةُ الحديث عنهم ؛ لاندرسَ العِلْم والسُّننَ والآثارَ المحفوظةَ فيهم ؛ فإذا تعذَّر إقامةُ الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس »[2]

١) المصدر السابق (٢١٢/٢٨)

٢) المصدر السابق (٢١٢/٢٨)

وبعضُ الناس – قديمًا وحديثًا – يأتي بقول لإمام من أئمَّة السُّنَّة في أهل البدع ثم يُنزِّله على كلِّ من وقع في بدعة ؛ بل في خطأ في مسألة اجتهادية !

وقد نبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ‹ وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله ، أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله ؛ فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إنما يُثبت حكمها في نظيرها ؛ فإن أقواما جعلوا ذلك عامًّا ؛ فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يُؤمروا به ؛ فلا يَجب ولا يُستحب ، وربما تركوا به واجبات أو مُستحبات وفعلوا به محرمات ، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ؛ فلم يَهجروا ما أُمروا بهجره .

... ودِيْنُ الله وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه ›[1]

١) المصدر السابق (٢٨/٢١٣)

وأختم هذه النَّصيحة التي أوجِّهُها إلى المُسلمين كافَّة ، وطلبة العلم خاصَّة بهذه الأبيات التي نَظمتُها مع أنَّني لستُ بشاعرٍ ، غير أنَّ الواقع الأليم الذي يعيشُهُ بعض طلاب العلم من التَّهاجر والتَّقاطع والتَّدابر والتَّنافر والتَّباغض بسبب وبدون سبب !

هذه الوضع الخطير أثارَ في القلب شُجونًا ومشاعرًا عبَّرت عنها بهذه القصيدة :

الحمدُ لله العَظيم الشَّانِ ... في كلِّ يومٍ ربُّنا في شانِ

ثمَّ الصَّلاةُ على النَّبيِّ مُحمَّدٍ ... خَيرِ البريَّةِ سيِّد الأكوانِ

أهلَ العقيدة شَمِّروا وتكاتفوا ... في قَولكمْ وفِعالكمْ بوِزَانِ

وامضُوا لدرب الخير واعلُوا شأنه ... واستبشروا بالنَّصر والرِّضوانِ

أنتم حُماة الدِّين فابنوُا صَرحَهُ ... صَرحًا عظيمًا شامخَ البُنيانِ

أنتم هُداة الحقِّ في غسَقِ الدُّجى ... فاستمسكوا بالحقِّ والإيمانِ

فلْتستفيقوا ولْتهبُّوا إخوتي ... وترفَّقوا في النُّصح للإنسانِ

إنِّي أَهيبُ بإخوتي أن يُجمِعُوا ... لبناءِ صَرْحِ الحقِّ دونَ تَوانِ

فتراحَموا وتعاونُوا إنْ رُمتمُوا ... دَحْرَ العِدا وإغاظةَ الفتَّانِ

يا أمَّةً مِنهاجُها التَّوحيدُ فَلْـ ... ـتراحمي يا أمَّةَ الفُرقانِ

إنِّي أرى شَبَحًا مُخيفًا مُحدِقًا ... بصُفوفِكُمْ يا دُرَّةَ العِقيانِ

قُوموا بعَزمٍ وارحَموا إخوانكم ... وتأهَّبوا للعَرضِ والميزانِ

وتذكَّروا يومًا عَبوسًا آزِفًا ... فيه الحِسابُ وصِلْيةُ النِّيرانِ

ودَعُوا الخلافَ ولَمِمُوا أطرافَكُمْ ... وتمسَّكوا بالشَّرع والفُرقانِ

واستمسكوا بالعُروةِ الوثقى ولا تَستسلِموا لحبائلِ الشَّيطانِ
وتذكَّروا يومَ القِيامةِ دائماً يَومٌ يُشيبُ مَفارِقَ الوِلْدانِ
ربَّاهُ أشكو ضَعْفَنا وهَوَاننا وشماتةَ الأعدا ذَوي البُهتانِ
شَبَحٌ رهيبٌ فيه فَرْطُ صفوفكم ووقوعكم في الظُّلم والهِجرانِ
فلتتَّقوا اللهَ الرَّحيم لعلَّهُ يُنجيكُموا مِنْ موقفِ الخُسرانِ
شَمِتَ الأعاديْ وانبرَوا لحِصَارِنا جَرَّاءَ بعضِ جَهالةِ الغِلمانِ
إنَّ القُلوبَ لقد تنافَرَ وُدُّها وتباعدتْ في السِّرِّ والإعلانِ
والشَّامتونَ بنا تجمَّعَ شَملُهم وقد استغلَّوا فُرقةَ الإخوانِ
ربَّاهُ مَنْ يدعُو أُصَيحابي إلى جَمعِ الصُّفوف بشِرعةِ الرَّحمنِ
ما هذهِ الأحكامُ تصدرُ فجأةً بالظُّلْمِ والتَّبديعِ والهِجرانِ ؟!
وتَصدَّر الأحداثُ للفتن الَّتي لم ينْجُ منها العالمِ الرَّباني !
قامَ الأصاغِرُ يُرجِفُونَ بلَمزِهِمْ بالبَتْرِ والإلزامِ والهذَيانِ
يا شيخَنا « المُفتيْ » تَدَارَكْ أمرَنا بالنُّصحِ والتَّوجيهِ والتِّبيانِ
هبُّوا سليلَ المجدِ معْ إخوانكُمْ دُرَرِ الزَّمانِ كـ« صَالحِ الفَوزانِ »
وكذا « اللُّحيدانُ » الذي أفضالُهُ معروفةٌ في سائر الأوطانِ
يا شيخَنا المِفضالَ « عبدَ المُحسنِ » سَاهِمْ بجُهدك يا أخا العِرفانِ
قُم يا « ربيعَ » الخير وادْعُ شبابَنا واجْهَد لرَأْبِ تصدُّعِ البُنيانِ
هذا معالي الشَّيخِ « صالحُ » دائماً يدعو الشَّباب بعَزْمَةٍ وتَفَانِ

سِيرواعلى النَّهجِ الصَّحيحِ وشَمِّروا	وتنافسوا في البرِّ والإحسانِ
وكذا « الفَقِيهيْ » شيخُنا أكرِمْ بهِ	يَنهَى أُصَيحابي عَنِ الشَّنَآنِ
وأخيْ « عُبَيدٌ » جُهدُهُ مُتواصلٌ	يدعو إلى الحقِّ العظيمِ الشَّانِ
يا صفوةَ الأشياخِ أعلامَ الهُدى	هاتُوا الدَّوا لتشتُّتِ الخِلَّانِ
أنتُم حُماةُ الدِّينِ عِلْيَةُ قَومِنا	قُومُوا برَأْبِ الصَّدعِ كُلَّ أوانِ
وخِتامُها أدعوا إلهيْ مُخلِصًا	بنَجاحِ مَجهودٍ صِمامِ أمَانِ
صلَّى عليكَ اللهُ يا عَلَمَ الهُدى	ما ناحَ قُمْريٌّ وغرَّد ثاني

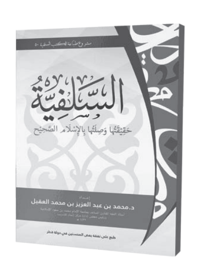
أسألُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلَ أعمالنا خالصة لوجهه ، صوابًا على منهج رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أسأله تبارك وتعالى أن يجمعَ القُلوبَ ، ويُؤلِّفَ بينها ، وأنْ يَسلُلَ سَخيمَها ، وأنْ ينصُرَ دِينهُ وكتابه وسُنَّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعباده المُؤمنين المُوحِّدين أهل السنة والجماعة ، وأنْ يُصلح ذات بينهم ، وأنْ يهديَنا جميعًا إلى سواء السَّبيل ، وأن يُحيينا مُسلمين ، وأن يتوفَّانا مُؤمنين ، وأنْ يكتبنا في عباده الصَّالحين ، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدِّين .

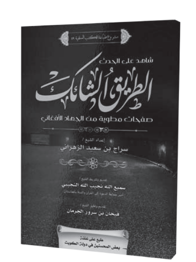
وقد تمَّ ذلك في يوم السَّبت الثَّاني والعشرين من شهر جمادى الثَّانية سنة سِتٍّ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألف من الهجرة النَّبويَّة .



فهرس

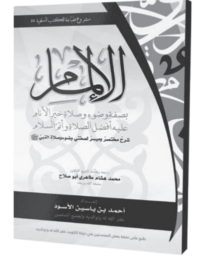
كلام بعض أفاضل المشايخ المعاصرين عن الضوابط التي تنهي الخلاف :


السلفية
حقيقتها وصلتها بالإسلام الصحيح

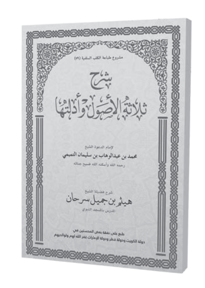
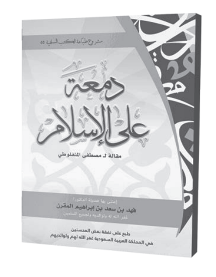
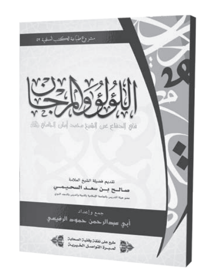
العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

الطريق الشائك
صفحات مطوية من الجهاد الأفغاني
سراج بن سعد الزهراني

نفح العبير
من تقاسيم العلامة السعدي في التفسير

تحفة المريد
بعالي الأسانيد

شرح
القواعد الأربع
ومتمماتها

الإلمام

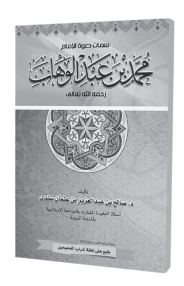
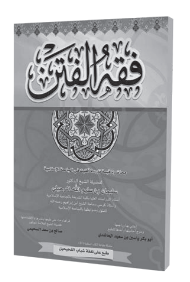
٢٠ نصيحة
لأختي قبل زواجها
بدر بن علي بن طامي العتيبي

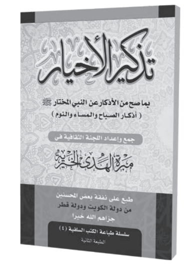
تحذير الموحدين
من تتبع آثار المشركين
والغلو في الصالحين
صالح بن فوزان الفوزان

شرح
ثلاثة الأصول وأدلتها

دمعة
على الإسلام

اللؤلؤ والمرجان

موجز الكلام في
شرح نواقض الإسلام

عقيدة السلف
القصيدة الحائية في السنة

كشف شبهة
أهل الضلال
وكتاب التبليغ فضائل الأعمال

حاشية
ستة أصول عظيمة
مع متمماتها

سمات دعوة الإمام
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

فقه الفتن

المقالة المفيدة
شرح حديث جامع في العقيدة

تذكير الأخيار
بما صح من الأذكار عن النبي المختار ﷺ
(أذكار الصباح والمساء والنوم)

بالتعاون مع



بدولة قطر



بدولة الكويت



